رؤية بحثية تجديدية لاستخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي

إعداد

د/ شيرين عيد مرسي مشرف

مدرس أصول التربية

كلية التربية – جامعة بنها

رؤية بحثية تجديدية لاستخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي

إعداد

د/ شيرين عيد مرسى مشرف

مدرس أصول التربية

كلية التربية – جامعة بنها

ملخص البحث

على الرغم من التحول الكبير الذي طرأ على استخدام البحث النوعي في مجال البحث التربوي ، إلا أن المؤسسات الأكاديمية لا تزال بعيدة عن تطبيقات هذه البحوث، رغم ثبات نجاح نتائجها وفعاليتها في تطوير هذا المجال ، خاصة في ظل سيطرة البحث الكمي على مجمل أنشطة البحث التربوي، التي أضحت معه استخدامات البحث النوعي وتطبيقاته ضعيفة في البحوث التربوية، وما زالت تعاني التشتت وعدم إثبات هويتها وأحقيتها بالتطبيق، بوصفها واعتبارها منهجًا بحثيًا من مناهج البحث التربوي ، أما تدريسها في الجامعات فمحدود إن لم يكن منعدما . وربما يرجع ذلك إلى ضعف الاهتمام به بوصفه أحد المناهج البحثية، سواء من ناحية عرضه نظريًا، أو تطبيقه ميدانيًا.

وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات وتبويبها وتحليلها والربط بين مدلولاتها، من أجل تفسيرها والوصول إلى استنتاجات عامة، تسهم في تحسين الواقع وتطويره. واستهدف البحث الحالي التعرف على معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي وفلسفتها وركائزها، وأهم الصعوبات التي تواجه تطبيق منهجية البحث النوعي في مجال البحث التربوي، والأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي في هذا المجال، وأهم منهجيات البحوث النوعية وإجراءاتها ومعايير تقييم هذه البحوث، وأهم ما توصل إليه البحث الحالي: أهمية استخدام البحث النوعي كرؤية بحثية تجديدية في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي.

الكلمات المفتاحية: رؤية بحثية تجديدية – البحث النوعي – البحث التربوي – أزمة البحث التربوي.

Innovative Vision Research for Using Qualitative Research In Treating Some Aspects of the Educational Research Crisis

Abstract

Despite the significant shift in using qualitative research in the field of education, yet the academic institutions are still far from the applications of this research, despite the stability and success of its results and its effectiveness in the development of this field, especially in the light of the quantitative research control of the overall activities of educational research, which weakened the uses and applications of the qualitative research in educational research, and it continues to suffer dispersal and lack of identity and its right to be applied, as one of the educational research methods, as for teaching it at universities , it is limited or does not exist at all. This may be due to the lack of attention to it as a research approach, both in terms of presenting it theoretically, or applying it on work fields.

The researcher used the descriptive analytical method, which relies on data collecting, assorting, analyzing and linking between their meanings, in order to interpret them and reach general conclusions that contribute in improving and developing reality.

The current research aimed to identify the innovative vision research characteristics that adopt the use of qualitative research in addressing some aspects of the educational research crisis in its philosophy and foundations and the main difficulties that faces the application of the qualitative research in educational research and the qualitative research philosophy and intellectual basics in this field, and the most important qualitative research strategies and procedures and the criteria for evaluating such of researches . The key findings of the current research: the importance of using qualitative research as an innovative vision research in treating some aspects of the educational research crisis.

Key words: innovative vision research - qualitative research - educational research - educational research crisis.

مقدمة:

تعد البحوث التربوية وسيلة مهمة لتطوير كل من التربية والمجتمع التى تتواجد به، حيث يساعد البحث التربوى فى التغلب على المشكلات التربوية ووضع حلول مناسبة لها، وفى تقديم المعارف والمهارات الجديدة التى يمكن أن تسهم بدورها فى تطوير النظام التعليمي والعاملين فيه.

وبالرغم من أهمية البحث العلمي فى مجال التربية فإنه لا بد من الإشارة إلى أن طبيعة البحث العلمي فى العلوم التربوية، تختلف عنها فى العلوم الطبيعية، وقد تعددت وجهات النظر فى ذلك؛ فهناك اتجاه يرفض فكرة تطبيق النموذج الخاص بالعلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية والإنسانية، باعتبار العلوم الاجتماعية ومنها (التربوية) تهتم (حسن البيلاوى،١٩٨٨، ٤١)، (محمد منير مرسي، ١٩٩٦، ٩٦-٩٧).بدراسة الإنسان وبنائه وتشكيل سلوكه، فشخصية الإنسان متعددة الجوانب وله جوانب ظاهرة من السلوك وأخرى كامنة توجه أفعاله وممارساته، وبالتالى فالدراسة السطحية للإنسان من خلال البحوث الكمية لا يمكن أن تحقق الفهم الكامل للطبيعة الإنسانية.

وهناك اتجاه آخر يرى أن الإنسان ظاهرة مثلها مثل الظواهر الطبيعية الأخرى، ويمكن تطبيق النموذج الخاص بدراسة الظواهر الطبيعية عليه، وتلك هى الأفكار والاتجاهات الخاصة بالنموذج الوضعى الذي يساوى الظاهرة الإنسانية مع الظاهرة الطبيعية ويجعلهما نموذجًا واحدًا.

ويعرف المدخل الإمبريقى الوضعى "بأنه المدخل السائد فى مجال دراسة العلوم الاجتماعية والتربوية عمومًا، ويقوم هذا المنهج على مسلمة بأن العلم الطبيعي هو نموذج العلم الجيد الذي يسمح لنا بالتفسير والضبط والتنبؤ بدرجة دقيقة مماثلة لتلك التى توجد فى العلوم الطبيعية".

وهنا بدأت أزمة البحث التربوي* عندما ظهرت الأبحاث الإمبريقية الوضعية فى علم اجتماع التربية كأبحاث ارتباطية فتت البناء الاجتماعي إلى جزئيات مفككة تبحث عن علاقات إحصائية تربطها، فجاءت رؤية النظام التعليمي أو المدرسة فى شكل مخطط نمطي، وفق نموذج المدخلات والمخرجات الذى يتعامل مع حياة الناس وتاريخهم باعتبارهم عوامل مفككة أو متغيرات جزئية، والمهمة الأساسية لهذا النموذج النمطى هو توجيه البحث لقياس العلاقات الارتباطية بين المدخلات والمخرجات، أما العمليات التربوية التى تحدث ما بين المدخلات والمخرجات فلا وجود لها. (محمد الطيب وآخرون، ١٩٩٧، ٤٣٢-٤٣٣).

سيتم تناوله بالتفصيل في المحور الأول من محاور البحث والخاص بعرض (بعض جوانب أزمة البحث التربوي)

وقد ازدادت هذه الأزمة مع تبني رواد البحث التربوى فى مصر فى معظم بحوثهم النموذج الوضعي الذي يتناول الظواهر الاجتماعية والتربوية بنفس الأساليب الدقيقة والمضبوطة التى تدرس بها العلوم الطبيعية. (محمد ابراهيم المنوفي، ٢٠٠٠، ١٠٠) بالرغم من أن معظمهم يشعرون بعجزهم إزاء ما يشهدونه من تحولات وظواهر جديدة لا عهد لهم بها، وليس بمقدور نماذجهم المعرفية التقليدية الإحاطة بها وفهم دلالاتها، فضلًا عما تتعرض له اليوم من مراجعات نقدية مكثفة مطروحة كضرورة ملحة وحيوية للحفاظ على الفعالية الإجرائية لهذه البحوث التربوية.

فالبحوث الوضعية تناولت المتغيرات المدرسية كعوامل رئيسة فى معادلاتها الارتباطية، ولم تقترب اقترابًا مباشرًا من الحياة اليومية داخل المدرسة ، بل تعاملت مع المدرسة على أنها عدد من المؤشرات والمتغيرات التى يمكن دراستها، مثل عدد الكتب بالمكتبة، والتجهيزات المعملية، وأبعدتنا عن فهم الحياة داخل المدرسة والتفاعلات بداخلها، وتوزيع المعرفة، وعلاقات النفوذ والسلطة داخل مجتمع المدرسة، ويؤكد ميهان Mehan أن النظريات الكبيرة وما ينشأ عنها من بحوث إمبريقية ارتباطية لا تستطيع أن تنفذ إلى داخل العملية التربوية، لأنها تقدم لنا تفسيرات منطقية تجيب عن سؤال (لماذا؟)، فى صورة صياغات إحصائية ارتباطية، ولا تقدم لنا الكيفية التى تعمل بها هذه المتغيرات فى العملية التربوية.(محمد الطيب وآخرون ،١٩٩٧، ٤٣٣-٤٣٤).

وهنا يمكن القول بأن البحث التربوى فى البلدان العربية - ومنها مصر- يعاني أزمة حقيقية؛ نتيجة العديد من التحديات، يتمثل أغلبها في سيادة المنهج الأمبريقي (الكمي) في مجال البحوث التربوية، ونتيجة لما يعاني منه البحث التربوي من بعض الأزمات، وكذلك نتيجة للنقد الموجه للبحث الكمي في دراسة المشكلات التربوية، خاصة ما لا يتناسب منها مع التحليل العددي، إضافة إلى القناعة بأن السلوك الإنساني في المجال التربوي يتأثر بشكل كبير بالبيئة التي يوجد فيها، مما يساعد على فهم السلوك من خلال البيئة التي يقع فيها؛ فقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولًا كبيرًا في ثقة كل من أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا، بأن البحوث النوعية أكثر ملاءمة لدراسة الظواهر الاجتماعية والتربوية داخل المدرسة والأسرة والمحيط التربوي، وأننا باحتياج شديد إلى مناهج بحثية جديدة قادرة على كشف جوانب البنى الاجتماعية داخل المدرسة، والديناميات الثقافية المتفاعلة داخل حجرة الدراسة، وكذلك نحن بحاجة إلى مناهج بحثية قادرة على كشف عناصر الثقافة المهيمنة والمعرفة للتقدم وديناميتها الكامنة فى بنية التنظيم الاجتماعى للمدرسة؛ حيث إنه بدون هذا النمط المهم فى المناهج البحثية لن يستطيع الباحثون الإسهام فى حركة تطوير التعليم، وسوف تخسر حركة تطوير التعليم هذه الإسهامات، مما يقلل من

فعاليتها وقدرتها على تحقيق التطوير المنشود في ظل عالمنا المتغير. وبالفعل تنامى قبول الرؤية البحثية التجديدية لاستخدام البحث النوعي في البحث التربوي؛ حيث إنه لا يكتفي بوصف الأشياء كما هي، بل يسعى للحصول على فهم أعمق للصورة الكبرى التي يكون فيها ذلك الشيء، ويبحث عن معرفة كيف وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، وكيف يشعر الناس المحيطون بها، وما آراؤهم حولها وما المعاني التي يحملونها عنها.

وهذا ما أكده العديد من الدراسات، فقد أكدت دراسة (خالد محمد سليمان، ٢٠٠٣) أن الفرد لا يمتلك إلا الانحناء تقديرًا للنظرة الإنسانية التي تتبناها البحوث النوعية التي تقدم نفسها بوضعها المدافع الأمين عن شخصية الإنسان وخصوصيته، بوصف خبراته الحياتية، كما يفهمها هو، وكما تتجلى عبر تعبيراته وظروفه الطبيعية، والتي تمثل المصدر الرئيس للبيانات البحثية.

وهو ما دعا إليه (لويس كوهين، ولورانس مانيون،١٩٩٠) من أنه لا يمكن فهم العالم الاجتماعي إلا من خلال وجهة نظر الأفراد الذين يشكلون جزءًا من الظاهرة المطلوب دراستها، وأن فهم الإنسان لا يمكن أن يتم إلا من خلال البحث النوعي الكيفي الذي يشارك هذا الإنسان ظروفه، وله نفس خلفيته المرجعية، ففهم الكيفية التى يفسر بها الفرد العالم من حوله لابد أن يأتي من داخل ذلك العالم وليس من خارجه.

وهو ما أكدته أيضًا دراسة (عبد السميع سيد أحمد، ١٩٩٣) من حيث أهمية البحث النوعي فى دراسة المدرسة ، والتي أطلقت عليه اسم (المدخل الحياتي) ، وهو المدخل هو الذي يتخذ من التعايش مع الناس فى المواقف المختلفة أساسًا للبحث، وهو قائم على مسلمة أن الدليل الوحيد الصادق الذي يتعلق بالظواهر الاجتماعية، لا يقوم إلا على الملاحظة المنهجية وتحليل الحياة اليومية، بمعنى تحليل ما يفعله الناس وما يقولونه والكيفية التى يتفاعلون بها، وتصبح مهمة العالم الاجتماعي هي الكشف عن القواعد التى يبنى الأفراد من خلالها عالمهم.

ويؤكد فيترمان(Fetterman) أن البحث النوعي يمتلك العديد من الخصائص التى يمكن أن تكون استبصارًا مفيدًا للعديد من المشكلات التربوية وخاصة المعقدة منها، بما يحقق أغراض البحث التربوى، فالبحث النوعي بإمكاناته ووسائله المختلفة وقدرته على التعامل مع أفراد الجماعات والغوص بعمق فى الأحداث، يطرح مدخلًا جديدًا يسهم فى فهم أفضل للمدرسة كمؤسسة تربوية. (مصطفى عبد الباقى، ١٩٩٤، ٣٥-٣٦).

كما أكد كل من (عصام هلال، وطلعت عبد الحميد، ٢٠٠٢) أهمية استخدام البحث النوعي (الإثنوجرافي) خاصة في المجال التربوي لرؤية الواقع التعليمي كما هو من الداخل، خاصة وأنه يحقق خطوة كيفية كبيرة في تناول المشكلات التعليمية بواقعية.

كما أوضح (على الشخيبي، ٢٠٠٢) أهمية البحث النوعي (الإثنوجرافي) في المجال التربوي، وتحقيق العديد من العمليات التربوية مثل التفاعل الاجتماعي بين الجماعات المختلفة داخل حجرة الدراسة، وبين المدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى، والضبط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والحراك الاجتماعي، فضلًا عن تحقيق فهم العديد من الظاهرات التربوية مثل ظاهرة التفوق والإبداع والتأخر الدراسي والغش والشغب والمناخ المدرسي، والثقافة المدرسية والمؤسسات التربوية المختلفة.

كما أكدت دراسة (خالد أحمد مصطفى حجر، ٢٠٠٣) أن الخصائص المميزة للظاهرة الاجتماعية والنوعية الفريدة للعلاقة التي تربط بين الباحث وموضوع دراسته تتطلب تصورًا بديلًا للشروط التي يضعها المنهج الوضعي لتحقيق الصرامة، وتوفير شروط العلمية، والصدق والثبات في البحث النوعي، وأوضحت الوسائل التي يتم من خلالها تحقيق المصداقية في البحث النوعي والإجراءات المنهجية التي تستخدم في ذلك، مثل التنويع والوصف المكثف والتأمل، وكيف يتم تحقيق شروط الصدق والثبات في البحث النوعي على ضوء السمات المميزة للواقع الاجتماعي والعلاقات الإنسانية.

واستهدفت دراسة (عادل محمد ريان،٢٠٠٣) استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث العلمي وأكدت الدراسة أهمية استخدام البحث النوعي الكيفي وضرورة الاستفادة منه في دراسة الظواهر الإدارية، وبخاصة ما يرتبط بنظرية التنظيم، الأمر الذي أدى إلى تنامي أدبيات الإدارة التي اعتمدت هذا المدخل خاصة في الولايات المتحدة الامريكية.

كما أشارت دراسة (محمد سكران، ٢٠٠٤) إلى إحدى إستراتيجيات البحث النوعي المتمثلة في المنهج الإثنوجرافي وأهميته ومفهومه وأكدت الدراسة أن منهجية الإثنوجرافيا ليست منهجية بحثية تختص بالدراسات الأنثروبولوجية وحدها، وإنما اتسع مداها لتشمل العلوم الاجتماعية بعامة، والتربوية بصفة خاصة، وباتت لعشرات الأسباب التربوية والاجتماعية والثقافية منهجية ضرورية الاستخدام فى البحث التربوى.

وقدمت دراسة (صلاح الدين محمد حسينى ،٢٠٠٥) تصورًا ورؤية لمستقبل البحث التربوى الفلسفى لتعزيز مكانته، سواء من خلال تعديل نظرة التربويين أنفسهم إلى قيمة البحوث الفلسفية فى

تطوير العملية التعليمية أو من خلال تطوير البحث الفلسفي ذاته، لخدمة أغراض التطوير التربوى المعاصر، واعتمدت الدراسة منهجية التحليل الفلسفي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، منها أن بحوث فلسفة التربية لم تجد العناية الكافية من قبل التربويين، وأن غالبية ما أجرى من بحوث فى هذا المجال اتبعت منهجية واحدة وهى المنهجية التى تبحث فى تاريخ الفكر الفلسفي، وقدمت الدراسة رؤية لتعزيز مكانة البحث الفلسفي التربوي داخل الجماعة التربوية.

وأشارت دراسة (سعيد أحمد سليمان، ٢٠٠٥) إلى أهمية البحث النوعي كمنهجية بحثية باعتباره نقلة نوعية تتوجه بالبحث التربوي في اتجاه مغاير للاتجاه الذي تتبناه البحوث الكمية المسيطرة ـ وما زالت تسيطر ـ على توجهات النسبة الغالبة من الباحثين التربويين في مساعيهم الرامية لتحقيق أهداف أبحاثهم.

وأكدت دراسة (ولاء محمود عبد الله، ٢٠٠٧) أهمية استخدام المنهج الإثنوجرافي في التعرف على مدى تأثير الثقافة السائدة داخل مجتمع المدرسة على ممارسة النشاط المدرسي، كما أكدت مدى اهتمام المنهج الإثنوجرافي بالتحليل السيسيولوجي للظاهرة الاجتماعية، مما يساعد الباحث في الغوص في المشكلة البحثية والتعرف على التفاصيل الدقيقة للظاهرة، وفهم الثقافة السائدة داخل المدرسة، ومدى تأثيرها على النشاط داخل المدارس.

كما هدفت دراسة (فهد بن سلطان السلطان،٢٠٠٨) إلى مناقشة اتجاهات البحث التربوى المعاصرة، وركزت على تقديم البحث الإثنوجرافى كمنهجية تجديدية قادرة على معالجة مشكلات الواقع، ومن ثم تطويره.

أما دراسة (محمد مسفر القرنى، ٢٠٠٩) فأكدت أوجه الشبه والاختلاف بين أساليب البحث النوعي وبين التكنيكات المهنية التى يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، وأكدت ضرورة تطوير الأساليب العلاجية التي تعتبر آليات لممارسة الخدمة الاجتماعية باستخدام أدوات بحثية نوعية كيفية، كالمقابلة والملاحظة ودراسة الحالة، للوصول إلى فهم متعمق لكفاءة وفاعلية تلك الأساليب في تقديم المساعدة الإنسانية، مع الأخذ في الاعتبار السياق الثقافي والاجتماعي لمجتمع التطبيق.

وأشارت أيضًا دراسة (مهدى تافيل، ومنصور أبو طالب، ٢٠١٠) Mehdi.T, –Mansor, A.,2010 إلى الاهتمام المتزايد بمنهجية البحوث النوعية وضرورة تصميمها خاصة في مجال العلوم الاجتماعية ودورها في تطوير منظومة التعليم.

وفي نفس العام هدفت دراسة (صالح الشويرخ ، ٢٠١٠) إلى تحديد مفهوم إحدى إسترتيجيات البحث النوعي والمتمثلة في (دراسة الحالة) وتحديد مفهوم منهج هذه الاستراتيجية وتميزها عن بقية مناهج البحث العلمي الأخرى ، إلى جانب مناقشة إيجابياتها وسلبياتها ، وأكدت في ضوء نتائجها أن لمنهج دراسة الحالة مجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره من مناهج البحث العلمي؛ مما يجعله منهجًا بحثيًا جذابًا ، فهو منهج بحثي واسع ومتعدد الاستعمالات ، يتسم بدرجة عالية من المرونة ، ولذا فهو يناسب مختلف مداخل البحث العلمي ونظرياته ، كما أنه منهج وصفي ، طبيعي ، شمولي ، تفصيلي ، استكشافي ، استقرائي ، رغم ما يحيط به من بعض الغموض والتداخل مع المنهج الإثنوجرافي ، وما يعانيه من بعض الإشكالات في قضيتي التعميم والذاتية.

وأكدت دراسة (شارلين هس، وباتريشيا ليفي، ٢٠١١) أهمية البحث النوعي الإثنوجرافي وما يتيحه من تفهم للواقع الاجتماعي، انطلاقًا من وجهة نظر شركاء البحث (المبحوثين) الأمر الذي يفسر لماذا تظل الإثنوجرافيا ممارسة أساسية من ممارسات البحث النوعي.

كما أكدت دراسة (عبد الجواد السيد بكر، ٢٠١٣) أهمية البحث الكيفي في علوم التربية، كما أن له الأولوية في الاستخدام في المجالين الثقافي والاجتماعي وكذا منظومات المعاني واللغة والقيم والأفكار والأصول الطبقية الاجتماعية وسياسات الأمم ونظمها التعليمية وأكدت أن النظر في استخدام الطريقة الإثنوجرافية في دراسة التربية المقارنة وفلسفات إدارة التعليم، يعطى جوانب مفيدة، يمكن بها توضيح رؤى الباحثين في أسباب اختيار الطريقة التي عرفها مجال التربية منذ سبعينيات القرن الماضي .... والتي يتجاوز بها أحد الباحثين المبتدئين كل حدود العقلانية فمثلاً يكتب : "استخدمت الدراسة منهج كذا ومنهج كذا والمنهج الإثنوجرافي ... إلخ "وكأنه أتى بما لم يأت به أحد من قبل .... وهكذا. وأوصت الدراسة بضرورة النظر والتأمل في اختيار المنهج واختيار الأسلوب واختيار الطريقة واختيار العينات المناسبة للبحث.

وفي نفس العام أكدت دراسة (راشد بن حسين العبد الكريم، ٢٠١٣) أهمية البحث النوعي في التربية خاصة في استخدامه كمنهجية إجرائية في البحث في العلوم الاجتماعية التي تركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها، مع بيان لأهم خصائص المنهج النوعي ، وأوضحت أهم الفروق بين البحثين الكمي والكيفي في أن البحث الكمي يركز عادة على التجريب والكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية ، وهي لا تقوم على محاولة هدم المنهج الكمي

أو إنكاره ، بل على اعتبار أن المنهج النوعي يكمل في كثير من جوانبه المنهج الكمي ، مما يعطي مزيدًا من الفهم لدى الباحثين في المجال التربوي.

واستهدفت دراسة (فضيل دليو،٢٠١٤) التوصل إلى معايير الصدق والثبات في البحوث الكمية والكيفية وعرض أهم معايير الصدق والثبات في البحوث الكميّة سواء الصدق الداخلي أو الخارجي، وصدق بنية المحتوى أو المفهومات الأساسية، ومعاملات الثبات الإحصائية مع التركيز أكثر على المستعملة منها في البحوث الكيفية، بحكم حداثتها والجدل المستمر حول مدى مصداقيتها سواء من ناحية الصدق الوصفي، والتأويلي، والنظري، والتاريخي أو التشبّع المعلوماتي.

وحديثًا أكدت دراسة (مها كيال ، ٢٠١٥) ، ودراسة (محمد الحوش،٢٠١٦) أهمية المنهج الإثنوجرافي، وأنه يعتبر من أهم التقنيات والمناهج الكيفية المستخدمة في العلوم التربوية، بالنظر لما يوفره من معطيات دقيقة ومباشرة حول الظاهرة المدروسة، كما أنه يحتل مكانة مهمة في تلك الدراسات بالنظر لخصوصياته المتميزة ، وأيضا لأهميته في معالجة الجوانب التي لم تتم دراستها من خلال المناهج الكمية الإحصائية التي تتعامل بنوع من الجفاف الرقمي مع الظواهر التربوية، بالرغم مما توفره من معطيات مهمة حول الظاهرة، هذا المنهج الذي أعطى أهمية كبيرة للملاحظة والوصف، والعمل في الميدان مما يمكن من الحصول على معلومات دقيقة حول الظاهرة المدروسة.

وفي نفس العام هدفت دراسة (إبراهيم عبد الله الحنو، ٢٠١٦) إلى التعرف على مدى استخدام منهجية البحث النوعي في ميدان التربية الخاصة من خلال تحليل البحوث المنشورة في عشر مجلات علمية محكمة خلال فترة عشر سنوات (٢٠٠٥-٢٠١٤)، وتوصلت إلى أن البحوث النوعية تتوافر فيها مؤشرات الجودة المتعارف عليها في البحث النوعي، وقدمت مجموعة من التوصيات تتعلق بسبل تعزيز استخدام منهجيات البحث النوعي في أبحاث التربية الخاصة.

وأخيرا دعت دراسة (صلاح السيد عبده رمضان، ٢٠١٦) إلى ضرورة تجديد المنهج خاصة في العلوم التربوية إذا ما أردنا تجديد الفكر التربوي الحديث، بحيث نجعله متخليًا عن النمطية والتقليدية المسيطرة على إنتاج المعرفة التربوية بصفة عامة وفي مجال أصول التربية بصفة خاصة.

قضيـــة البحـــث

على الرغم من التحول الكبير الذي طرأ خلال السنوات الماضية على استخدام المنهجية النوعية في مجال البحث التربوي بالمؤسسات الأكاديمية والجامعات، فإن هذه المؤسسات لا تزال بعيدة عن تطبيقات هذه البحوث رغم ثبات نجاح نتائجها وفعاليتها في تطوير البحث التربوي ، خاصة في ظل سيطرة المنهج الكمي على مجمل أنشطة البحث التربوي الذي أضحت معه استخدامات المنهج النوعي وتطبيقاته ضعيفة في البحوث التربوية ، وما زالت تعاني التشتت وعدم إثبات هويتها وأحقيتها بالتطبيق، بوصفها منهجًا بحثيًا في المجال التربوي ، أما تدريسها في الجامعات فمحدود إن لم يكن منعدما ، ربما يرجع ذلك إلى ضعف الاهتمام به بوصفه أحد المناهج البحثية، سواء من ناحية عرضه نظريًا، أو تطبيقه ميدانيًا. (أحمد اوراغي، ٢٠٠٧، ٥٤).

فضلاً عن سيطرة المنهجية الأمبريقية على البحوث التربوي؛ فعلى سبيل المثال، تغلب الصبغة الكمية الإحصائية على بحوث طلاب الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات . ولعل ذلك يعود إلى كون أغلبهم قد تم تدريبهم في مجال البحث الكمي الذي اكتسب مع الوقت شرعية علمية، مما قلل من اتجاه الباحثين التربويين إلى البحث عن خيارات منهجية جديدة (كمال نجيب، ٢٠٠٥)، (شبل بدران، ٢٠٠٥)، (كمال زيتون، ٢٠٠٦)، (العوفي، ٢٠٠٢)، (طه العلواني، ٢٠٠٦) ، (أحمد اوراغي، ٢٠٠٧) ،(حسين راشد العبدالكريم،٢٠٠٧).

وانعكس الاقتصار على استخدام البحوث الكمية الإحصائية في المجال التربوي على مخرجات البحوث الجامعية، فعلى الرغم من غزارة الإنتاج البحثي، فإن هذه البحوث الكمية لم تسهم ـ على النحو المأمول ـ في تحسين الواقع التربوي أو في تطوير المستوى التعليمي بالصورة الفاعلة، وإنما أدت هيمنة المناهج الكمية (الأمبريقية) على مجالات البحث التربوي إلى نتائج محدودة، حيث اكتفت تلك المناهج بالتركيز على دراسة المتغيرات المدرسية من خلال علاقات الارتباط الإحصائية، فربطت بين المدخلات والمخرجات، وتركت المدرسة وما يدور بداخلها من تفاعلات اجتماعية وثقافية كصندوق أسود لا نعلم ما فيه. (حسن البيلاوي، ٢٠٠٥، ٢).

وهنا وجب علينا ضرورة البحث عن معالم رؤية بحثية تجديدية في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي، ومناهج بحث نوعية تحليلية تعتمد التعمق والتبصر والوصف المكثف، وتفسير الظواهر التربوية من خلال ربطها بسياقها المحلي، ومناهج بحثية تقدم لنا دراسات شمولية للظواهر التربوية، بما تحويه من أبعاد إنسانية وثقافية وسياسية، من خلال البيئة التي تظهر فيها، وهنا تبرز قضية الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما جوانب أزمة البحث التربوي؟

٢- ما الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي في مجال البحث التربوي؟

٣- ما إستراتيجيات البحث النوعي في مجال البحث التربوي وإجراءاتها المنهجية؟

٤- ما معايير تقييم البحث النوعي في مجال البحث التربوي؟

٥- ما معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي؟

أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف على بعض جوانب أزمة البحث التربوي.

٢- التعرف على الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي في مجال البحث التربوي.

٣- الكشف عن أهم استراتيجيات البحث النوعي في مجال البحث التربوي وإجراءاتها المنهجية.

٤- تحديد معايير تقييم البحوث النوعية في مجال البحث التربوي.

٥- التوصل إلى معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي

أهمية البحث:

الأهمية النظرية: تنبع أهمية البحث من الجانب النظري من:

- الموضوع الذي يناقشه، ذلك أن مناهج البحث التربوي العلمي تعد الأساس المعياري الذي يبنى عليه الحكم على مخرجات البحث العلمي وتطبيقاته.
- كونه يسلط الضوء على أحد مناهج البحث العلمي التي لم تحظ بالعناية والاهتمام والتطبيق الميداني العملي في مجال البحوث التربوية، وكذلك في أنه يساعد الباحثين التربويين على اكتشاف خيارات بحثية ومنهجية جديدة.

- مدى الحاجة إلى طرائق بحث مختلفة، يكون التركيز فيها على فهم الظواهر التربوية من منظور داخلي، يرتبط بطريقة تعايش الأفراد المشاركين مهنيًا في مؤسسة معينة، ومن دوافع اجتماعية محددة.
- تاكيد البعض أن أحد أسباب ضعف الدراسات التربوية العربية يعود لعدم استخدام هذه المنهجية التي تتيح للباحث الانطلاق في دراساته، بعيدا عن القيود التنظيرية والأدواتية المنبثقة من مجتمعات غربية لا تتوافق وطبيعة مجتمعاتنا العربية.

الأهمية التطبيقية:

تنبع أهمية البحث من الجانب التطبيقي من:

قد تساعد نتائجه في إفادة الجهات ذات الاختصاص، وذلك من خلال تزويدهم بتغذية راجعة عن جوانب أزمة البحث التربوي ومعوقاته، وبالتالي العمل على معالجتها من خلال معالم الرؤية البحثية التجديدية المقترحة لاستخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب هذه الأزمة.

مصطلحات البحث:

تتحدد أهم مصطلحات البحث فيما يلي:

١- البحث التربوي:

للبحث التربوى تعريفات عدة؛ نظرًا لاتساع مجالاته وتعدد أنماطه وأساليبه، غير أنها تلتقي فى هدف واحد هو تطوير العملية التربوية، وإحداث تغييرات مرغوبة فى الممارسة التربوية. ومنها تعريف (الطيب وآخرون، ٢٠٠٠، ٤٨) الذي يشير إلى أن البحث التربوي هو: سعى منظم نحو الفهم، مدفوع بحاجة أو صعوبة محسوبة، وموجه نحو مشكلة تربوية معقدة تتجاوز الاهتمام الشخصي المباشر، ومعبر عنها في صيغة مشكلة.

ويرى (حسن البيلاوى، ٢٠٠٥، ١٠٢) أن البحث التربوى نشاط اجتماعى يقوم على مسلمات فلسفية وأيديولوجية ينتج عنها بالضرورة توجه الباحث إلى فهم الممارسات التربوية داخل حجرة الدراسة، وهذه الرؤية لها أهمية حيوية فى النشاط البحثي، فهى التى تحدد مجال العلاقات التى يشملها البحث وطبيعتها، وهي أيضًا التى تحدد الطريقة التى ينظر الباحث من خلالها إلى مهمة التغيير فى المدرسة ووجهة التغيير وحدوثه.

ويوضح (فاروق عبده فليه، وأحمد عبد الفتاح الزكي ،٢٠٠٤، ٦١) فى معجم المصطلحات التربوية أن البحث التربوى عبارة عن خطوات علمية منظمة ودقيقة قائمة على التقصي والدراسة الطويلة المتأنية؛ بهدف اكتشاف أو وضع أسس وقواعد أو حل مشكلات في مجال التربية.

ويرى (عبد العزيز العمر ،٢٠٠٧، ٥٨) أن للبحث التربوى دراسات علمية تعتمد المنهج العلمي المعروف والأساليب الإحصائية الكمية والكيفية من أجل الوصول إلى حلول للعديد من المشكلات.

ويوضح كل من (محمد عبد الرازق، وعبد الباقي عبد المنعم، ٢٠٠٧، ٧١)، (نصر الله محمد، ٢٠١٠، ٦١) أن للبحث التربوى جهودًا مخططة منظمة وموحدة، تستهدف حل المشكلات التربوية القائمة أو إضافة معرفة تربوية جديدة أو تبين أفضل الطرائق لتطبيق الأفكار والنظريات فى الميدان التربوى، والتى تعتمد على الأسلوب العلمي فى التفكير.

ويهدف البحث العلمي التربوي إلى التعرف على واقع النظم التربوية القائمة والكشف عن مشكلات التربية والتعليم، وعلاقتها بالمتغيرات المجتمعية في سياقاتها المختلفة من حيث نواحي القوة والضعف فيها، والكشف عن المعارف التربوية المتجددة وتكوين مخزون تربوي من المفاهيم والحقائق والمعلومات في المجالات التربوية المختلفة، واستخدامها في تقييم الحلول والبدائل الممكنة التي تساعد على تعميق الفهم للأبعاد التربوية ورسم السياسات التربوية، واتخاذ القرارات السليمة (باسنت فتحي ، ٢٠٠٥، ٢٧٤) والمساعدة في تحديد فعالية الاستراتيجية التربوية وتمكين مؤسسات ومراكز البحث التربوي من إعادة النظر في بنيتها التنظيمية.

ويعد البحث التربوي أداة مهمة في تقدم المعرفة التربوية والانفتاح عليها، ودفع عجلة التقدم العلمي والتربوي، فالقيمة الجوهرية للبحوث التربوية تكمن في تمكين التربويين من بناء قاعدة رصينة لتخصصاتهم، فمثل هذه القاعدة هي التي تضمن تقدم ونضوج الميدان التربوي، بالشكل الذي يجعل من البحث التربوي شريان الحياة الذي يمد التربويين بالمعرفة التربوية اللازمة للاستمرار، كما يقع على عاتقه مسئولية تطوير الفكر التربوي بهدف تحقيق مزيد من التقدم في الحياة،(مجدي صلاح المهدي، ٢٠٠٨،٥٧) كما أنه يعتبر الأداة الأساسية لتنمية وتجديد المعرفة التربوية ، بالإضافة إلى دوره الفاعل في تغيير وتطوير أمور التربية والتعليم.

٢- الرؤية البحثية التجديدية:

تعرف الباحثة الرؤية البحثية التجديدية في ضوء البحث الحالي بأنها: ارتياد آفاق جديدة في البحث التربوي تهدف إلى دراسة كثير من قضاياه التي لم تدرس من خلال ارتباطاتها الثقافية والأيديولوجية، حيث تسهم هذه الرؤية ـ من خلال منهجيتها النوعية الشمولية ـ في طرق موضوعات جديدة وتقديمها من خلال ارتباطها بالثقافة والأيديولوجيا، خاصة وأن هذه الرؤية البحثية التجديدية ـ في البحث الحالي ـ لا تنظر إلى الثقافة على أنها مجرد انعكاسات لقوى بنائية، وإنما كنظام للمعاني والأفكار واللغة والطبقة الاجتماعية.

كما أنها تمثل عملية إبداعية، وحلمًا يرتبط بالاحتمالات المستقبلية، التي تهدف إلى تحقيق مستقبل أفضل فى أى مجال من مجالات البحث التربوي.

٣- البحـــث النـــــوعي:

يعتبر البحث النوعى أحد أنواع البحوث التي يتم اللجوء إليها في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للظاهرة التربوية، كما يمثل منهجية رئيسة في البحث التربوي تهدف إلى تطبيق أساليب بحثية كيفية لا كمية ، بهدف الوصول الى أقصى درجة ممكنة من الفهم للظاهرة المدروسة ، من خلال الخوض في تفاصيلها ، والوقوف على أبعادها الكامنة ، والعوامل المؤثرة في استمرارها وتطورها ، بشرط أن يتم ذلك في السياق الطبيعي للظاهرة ودون أن يقوم الباحث بأي إجراء من شأنه أن يعدل من مسارها أو يعمل على تفسيرها على نحو مخالف للحقيقة أو يضمنها رؤية متحيزة غير موضوعية . (إبراهيم اسماعيل عبده محمد، ٢٠١٥، ١٤٢)

منهج البحث وإجراءاته:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات وتبويبها وتحليلها والربط بين مدلولاتها، من أجل تفسيرها والوصول إلى استنتاجات عامة تسهم في تحسين الواقع وتطويره، من خلال الرجوع إلى الأدبيات المختلفة في مجال مناهج البحث العلمي، خصوصًا في مجال البحث التربوي، ومراجعة مختلف الدراسات العربية والأجنبية ذات الصلة بالبحث النوعي بصفة خاصة، وأهم إستراتيجات البحث النوعي (الإثنوجرافيا)، ومناقشة الأسس الفكرية والفلسفية التي قامت عليها هذه المناهج.

حدود البحث:

اقتصر البحث الحالي على مناقشة بعض جوانب أزمة البحث التربوي (مجال أصول التربية نموذجًا) وهو ما يتناسب مع التخصص العام للباحثة، كما اقتصرت الباحثة في عرضها لجوانب أزمة البحث التربوي على الدراسات التي وجهت النقد للبحوث الكمية ولغة الأرقام في مقابل الدعوة لتبني استخدام البحوث الكيفية، ومن ثم تقديم معالم رؤية بحثية تجديدية لاستخدام البحث النوعي (الكيفي) في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي.

خطوات السير في البحث:

يسير البحث الحالي وفق المحاور الآتية:

- المحور الأول: جوانب أزمة البحث التربوي.
- المحور الثاني: الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي في مجال البحث التربوي.
- المحور الثالث: إستراتيجيات البحث النوعي في مجال البحث التربوي وإجراءاتها المنهجية.
- المحور الرابع: معايير تقييم البحوث النوعية في مجال البحث التربوي.
- المحور الخامس: معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي.

وسيتم عرض كل محور بشيء من التفصيل كما يأتي:

المحور الأول: جوانب أزمة البحث التربوي:

أصبح البحث التربوي في الوقت الحاضر مطلبًا اجتماعيًا لمواكبة الحاضر والاستجابة لمطالبه، في ظل ما تعانيه مؤسستنا التربوية من تراجع في أدوارها، وعجزها عن الاستجابة للإقبال المتزايد على التعليم، بل والعجز عن تقديم التعليم الذي يرضي طموحات طالبيه، والبطء الشديد في مسايرة التطور التكنولوجي والعلمي المذهل، وضعف ارتباطها في أهدافها ومناهجها وأساليبها بالواقع، والاعتماد الشديد على استيراد مخططات ونظريات منزوعة من سياق اجتماعي وفكري يبلغ حد التصادم مع واقعنا وقيمنا ومعتقداتنا.

والواقع أنه على الرغم من الأهمية الواضحة للبحث التربوي ودوره في تطوير العمل التربوي وتوجيهه، فإن العديد من الدراسات والمؤتمرات والندوات، أكد أن واقع البحث التربوي في بلادنا لا يبعث على الارتياح، بل إنه سبب مهم من أسباب العجز الذي يصيب العملية التعليمية، وأنه يعاني أزمة حقيقة، تحتم على كل المعنيين والمشتغلين به، ضرورة البحث في جوانب تلك الأزمة، وتقديم مقترحاتهم العملية ورؤاهم البحثية التجديدية للخروج منها ومعالجتها ، بما يمكن أن يزيد من كفاءته، والدور المأمول منه لإحداث نقلة نوعية في نظم التعليم بالبلاد العربية وخاصة مصر.

وقد ظهرت جهود عديدة، اهتمت برصد وتوضيح جوانب تلك الأزمة التى يعاني منها البحث التربوى مِّن زوايا متعددة، وقد تناولت الباحثة هذه الجهود قديمًا وحديثًا؛ لتأكيد شدة الأزمات التي يتعرض لها البحث التربوي والتي ما زالت مستمرة لعل من أبرزها:

دراسة (سيد أحمد عثمان، ١٩٨٦) والتى حددت أربعة محاور تعتبر أسبابًا مباشرة لأزمة البحث التربوى، أولها أزمة الطلب التى يراها فى القطيعة بين الممارسة التربوية والفكر التربوى، وثانيها أزمة إعداد الباحث التربوى من الناحية النظرية والتدريبية، وثالثها أزمة الآليات والتى دارت حول أزمة فلسفة العلم عند المفكر التربوى وأزمة فلسفة المنهج عند الباحث التربوى، وأزمة الفكر التربوى بوجه عام نتيجة سيادة النمطية، وطغيان التكرارية وهيمنة الشكلية، وأخيراً أزمة الأخلاقيات التى هى امتداد لأزمة الأخلاق العامة بمجتمعنا في مرحلته الراهنة.

كما أضاف (محمود أبو زيد إبراهيم، ١٩٨٦) في نفس العام أيضًا بعدًا جديدًا لملامح الأزمة، تبلور فى أن البحث التربوى تحول إلى نشاط أكاديمي قليل الأهمية؛ لانعزاله عن المجتمع، وانطلاقه فى عزلة وتجرد عن أطره وضوابطه الاجتماعية والتاريخية، وارتباطه من حيث منهجه وأدواته بالنموذج الغربى، بل وخروجه في تكرارات مشوهة، أو ترجمات فقيرة وناقصة عن نظيراتها. وعلى ذلك فإن أي محاولة لإنقاذ البحث التربوى من أزمته تتطلب رؤية بحثية تجديدية، لها معالم وملامح واضحة ومغايرة لتوجهاته وارتباطاته ومنهجه وتفسيرته التى تم استيرادها من أطر أيديولوجية وثقافية غربية دخيلة على المحيط الثقافي العام للظواهر التربوية المصرية.

وخلصت دراسة كل من (حسن البيلاوي، ١٩٨٨ ، سمير عبد الوهاب الخويت، ٢٠٠١) إلى أن نموذج العلم السائد في مجال البحث التربوى فى مصر هو العلم الأمبريقى الوضعي، بمناهجه

المعروفة التى تنهض على تحديد المتغيرات إجرائيًا، وصياغة العلاقات بينها إحصائيًا، وتحليل النتائج فى أنسقة رياضية، ومن ثم انحصر جهد الباحثين فى مشكلات جزئية داخل النظام التعليمي، فغابت عن دائرة اهتمامهم أهداف النظام وبنيته الثقافية والاجتماعية ، فكان هذا النموذج هو أساس أزمة البحث التربوي التى أبرزها فى نقاط ثلاث، تعرض لها جميعًا بالنقد والتحليل، معتمدا على المنهج التحليلي النقدي كما يأتي:

١- أن أزمة البحث التربوي تتمثل فى أزمة المنهج أو العلم السائد فيه، فهو نموذج منقول عن الغرب ويسعى لمحاكاته ولا يكرس سوى التبعية للغرب.

٢- أن نموذج العلم السائد قد أدى إلى انفصال البحث التربوى عن مشكلاتنا التربوية فى نظام التعليم، ومن ثم تقاعس البحث التربوى عن القيام بدور فعال فى تقدم العملية التعليمية وتطويرها.

٣- أن الأزمة فى البحث التربوي هي فى صميمها أزمة في المنحى، أى فى شكل الخلاف الأيديولوجى المحيط بالممارسات العلمية فيه، والتى تعوقه وبالتالى تشوه المنهج وممارسات العلم الاجتماعى فى التربية.

كما أشار (عزيز حنا داود، ١٩٩٣) إلى أن مظاهر أزمة الفكر كمنهج للفكر التربوى تتبلور فى تسيد الوضعية المنطقية، والتى تتحدد معالمها فى التعامل مع الخبرات الحسية التى يمكن ملاحظتها وقياسها، والاعتماد على المدخل الضيق فى التفكير والبحث، والاستغراق في الاستخدام غير الرشيد للتقنيات كالأدوات والأجهزة والمقاييس والإحصاء للمزيد من التكميم والضبط والبعد عن النظرة الكلية التى تنظر إلى أي قضية بوصفها جزءًا في شبكة علاقات(زمانية – مكانية)، ولا يمكن فهمها أو تأويلها إلا بدرا سة المنظومة – التى تنخرط فيها، ويعتمد هذا الفكر على التمركز حول الطريقة ،لأن المشكلة ورفض التمركز حول المشكلة تتطلب عادة رؤى نظرية، بالإضافة إلى البعد عن التنظير والتعامل مع الواقع كما هو.

وفي نفس العام رأى (حمدى أبو الفتوح عطيفة، ١٩٩٣) أن البحوث التربوية تعاني العديد من المشكلات التى نجمت عن عدم التطبيق الصحيح للمنهج العلمي ومحاولات الباحثين التربويين محاكاة الباحثين فى مجالات العلوم الطبيعية ومن أهم المشكلات التى ذكرها:

- مشكلات تتصل بالموضوعات والقضايا التى تختار للبحث والاستقصاء؛ حيث إن القابلية للتكميم تعد من أهم المعايير التى تحكم عملية الاختيار وترتب على ذلك استبعاد العديد من القضايا المهمة والحيوية لعدم إيفائها بهذا المعيار.

- ضعف درجة اتصال المشكلات المختارة للبحث والاستقصاء بالواقع الفعلي للعملية التربوية.
- غياب أو محدودية التصورات الفلسفية أو المفاهيمية التى يمكن أن تبحث المشكلات فى إطارها، حيث الاهتمام المبالغ فيه للرؤى المنهجية قد حجم كثيرًا من محاولات الاستبصار المفاهيمي للمشكلات البحثية ونتائج البحوث.
- غلبة السطحية فى التعامل مع المشكلات التربوية التى تخضع للبحث والاستقصاء، حيث أصبح اهتمام الكثير من البحوث والدراسات التربوية بالمعالجة الميكانيكية للمشكلة موضع البحث.

واتفقت دراسة (عبد القادر خليفة، ١٩٩٤) مع دراسة (حسام الدين أبو الهدى ، ٢٠١٤) عن إشكالية التنظير في البحث التربوي، من خلال دراسة تحليلية لنماذج من الدراسات فى مجال اجتماعيات التربية على أن الغالبية العظمى من دراساتنا التربوية تكاد تخلو فى معالجاتها من مشكلات وقضايا واقعنا التربوي، على اعتبار أننا مجتمع (مُخلف) لم ينطلق من الواقع المصري ولم ينطلق من فلسفة تربوية تستجيب لخصائص مجتمعنا المصري واحتياجاته، وإنما تستمد مجالاتها ومعالجاتها من اتجاهات البحوث التقليدية فى الغرب والتى تعتمد على المنهج الإمبريقي الوضعي، ذلك المنهج الذي يعمل على توجيه جهود الباحثين إلى نموذج معين من البحوث التى تسمى بالبحوث الجزيئية؛ لأنها تهتم بدراسة مشكلات جزئية محدودة، بطرائق فنية في إجراءاتها، تهتم بالتقنيات وتعتمد على الإحصاءات فى التحقق والإثبا ، ومن ثم قل الاهتمام بالتنظير الذي يعتبر الضوء الكاشف للعمل الميداني، فأخطأت الإجراءات، واضطربت النتائج، وتسطحت إسهامات الدراسات حتى عجزت عن الإسهام فى تقدم العلم من جهة أو حل المشكلات المجتمعية من جهة أخرى.

وقد اتفقت معهم دراسة (سامية بغاغو ، ٢٠٠٤) لمعايير التنظير فى البحوث الأمبريقية والتى اعتمدت فيها على المنهج الوصفي التحليلي وكذلك المنهج النقدي فى التحليل والتفسير لرصد واقع أزمة البحوث الأمبريقية فى مجال التربية، وكيفية تفعيلها فى دراسات أصول التربية بعد أن سادت إلى حد كبير في الدراسات الجامعية العليا ، وقد أكدت فيها أن البحث التربوي الأمبريقي يعاني أزمة حادة فى المنهج والهدف، كما رأت أن المنهج الأمبريقي الوضعي يمكن أن يحتفظ بالمنهجية العلمية التى تحقق موضوعيته، وفى نفس الوقت يمكن أن يحتوى على قدرة تفسيرية أكثر فعالية للظاهرة التربوية لو اهتم بالانطلاق من إطار نظري وفكري يقود البحث ويفسره.

كما ركزت دراسة (يوسف عنصر، ١٩٩٥) على أهم الأزمات التي يعاني منها البحث التربوي والمتمثلة في الاعتماد المفرط على الأرقام والإحصائيات، وأكدت ضرورة أخذ الحيطة والحذر من الإحصائيات، فالأرقام هي معلومات جافة ولا تروي القصة كاملة، ويجب ألا يصبح الجانب الميداني عبارة عن جداول وتكرارات ومراكز فئات ومعاملات ارتباط، على حساب المضمون وتفسير البيانات.

واتفقت كل من دراسة (عادل السيد الجندي، ٢٠٠٠)، ودراسة (رضا مسعد السعيد، ٢٠٠٤) أنه ما يزال معظم المشتغلين بالبحث التربوي مستغرقين في اتباع أساليب وأدوات تقليدية تتبع مناهج جامدة تصب فيها عقلية الباحث ويتحول من فكر فيلسوف إلى مجرد فني متعثر يضيع وقته في تنفيذ إجراءات وآليات روتين لا طائل منها.

وأكد (عبد المنعم محي الدين، ٢٠٠٠) وجود فريق لا يعترف بالأبحاث الكمية باعتبار تحويل السلوك البشري إلى أرقام وإحصائيات عملية تتعارض مع الذاتية المنفردة لأفراد الجنس البشري، مما أثر على فاعلية أبحاثنا التربوية.

واتفقت دراسة كل من (حسن البيلاوي ،٢٠٠٥) ودراسة (سالم عويس، ٢٠٠٣)، ودراسة (حمزة دودين، ٢٠٠٣) على ما يعانيه البحث التربوي من أزمات تمثلت في مدى هيمنة البحوث التقليدية – الامبريقية الضيقة على التربية – في مجال الفكر والبحث التربوي، تلك البحوث التي عالجت متغيرات المدرسة من خلال علاقات الارتباط والمعالجات الإحصائية التي يمكن أن تعطي نتائج غير صادقة، حيث ربطت بين المدخلات والمخرجات وتركت المدرسة وما يدور داخلها من تفاعلات اجتماعية وثقافية كصندوق أسود لا نعلم ما يدور بداخله.

وهو ما أشار إليه أيضًا الكثير من المهتمين بالبحث في إشكالية قصور البحوث الكمية في فهم وتفسير بعض مفهومات وقضايا الفكر التربوي، كالقضايا المرتبطة بالأيديولوجية والمعاني الذاتية، وضحالة ما أعطت خلال ما يقارب من قرن من الزمان، ولعدم تركيزه على قضايا التربية، بسبب عدم ملاءمتها لدراسة الظواهر التربوية المعقدة. (Padgett, Berrios & Lucca, 2006, 4-5) .

كما أن الاقتصار على أساليب البحث الكمي وتطويع الظواهر التربوية لتتماشى معها، لا يتيح للباحث – دائما – قياس وتفسير الظواهر التربوية بالدقة المطلوبة، ولا يتعدى كونه إسقاطا لمناهج العلوم الطبيعية التي تختلف في خصائصها عن الظواهر التربوية، وأيضًا معاناة البحث باستخدام الأسلوب الكمي من بعض الأخطاء مثل أخطاء المعاينة وأخطاء القياس، وهناك احتمال

لتحيز الباحث في أي مرحلة من مراحل البحث (محمد حسن علاوي، ١٩٩٩)، (محمد مسفر القرني، ٢٠٠٩).

وقد أكد كل من (صلاح توفيق، وهاني يونس، ٢٠٠٧) أنه على الرغم من التحول والنقلة المجتمعية التي يتعاظم معها دور البحث التربوى، فإنه يعاني من مجموعة من الأزمات، أكثر من أي وقت مضى، خاصة فى إيجاد المجتمع المتعلم أو المجتمع المؤسس على المعرفة، ومن ثم إن كانت تنمية مجتمع المعرفة بالتربية تعلمًا ونموًا تتأتى من جهات متعددة، فإن البداية لابد وأن ترسى دعائمها فى البحث العلمى التربوي.

وأوضحت دراسة (حامد عمار ، ٢٠٠٨) أن من أهم التحديات التى تواجه البحث التربوي سيادة منهج بحثي واحد فى مجال البحوث التربوية، وهو المعروف بالمنهج الأمبريقي، وهو منهج إن صلح فى بعض الحالات فإنه لا يصلح لمعظمها؛ نظرًا لتعقد المشكلات التربوية التى لا يمكن اقتطاعها كمفردة مستقلة عن سياقها الكلي، إذ لا يمكن اقتصار فهمها على مجرد إعداد استبانة لاستطلاع الرأي من عينة محدودة، متفادية بذلك المناهج البحثية الأخرى التى تحيط بالمشكلة من المنظور التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، مستخدمة المقاربات التحليلية والجدلية وتصور البدائل المتاحة والممكنة، وهذا يتطلب التجديد فى المناهج البحثية المستخدمة.

وفى هذا السياق يشير (محمد سكران، ٢٠١٠) إلى أن البحث التربوي فى البلدان العربية يعاني أزمة حقيقية، نتيجة العديد من التحديات تمثل أغلبها في سيادة المنهج الأمبريقي (الكمي) في مجال البحوث التربوية، وفي نفس العام يصنف (خليل يوسف الخليلي، ٢٠١٠) التحديات التى تواجه البحث التربوي فى الوطن العربى إلى أربع فئات: تحديات تتصل بالباحث التربوي، وتحديات تتصل بالجامعات التى يعمل بها الباحثون، وتحديات تتصل بميدان البحث، وتحديات تتصل بالمنهجيات البحثية الموجهة للبحث العلمي.

وأضاف (عبد الله فلاح المنيزل، وعدنان يوسف العتوم، ٢٠١٠) بعض هذه الأزمات التي تمثلت في صعوبة الملاحظة والضبط وتكرار البحوث وثبات مجتمعات الدراسة؛ إذ تتأثر الملاحظة في العلوم التربوية بشكل خاص بدرجة ما بموضوعية الباحث على خلاف البحوث في العلوم الطبيعية.

وحديثا أكدت دراستا (جمال الدهشان ، ٢٠١٤ ، ٢٠١٥) أن البحث التربوي يسير وفق نمط تقليدي متوارث ، ومنقطع الصلة بما تشهده الميادين الحليفة من تطورات ، وأنه يشهد حالة من(الافتتان) بالنموذج الكمي وحالة من الجفاء ـ تصل عند البعض إلى حد العداء ـ مع النموذج

الكيفي ، فضلاً عن غياب الرؤية النقدية في البحوث التربوية، والتي يمكن أن تتم من خلال معايشة الباحث لموضوع بحثه، وأن يندمج في الموقف الذي يدرسه بدرجه تمكنه من معرفة آليات وديناميات التفاعل الاجتماعي ، ومعرفة القوى الاجتماعية المرتبطة به وتبني آلياته، فبدون هذه الرؤية يفقد العمل الأكاديمي قيمته وأهميته.

وحديثا أكد (مولاي البرجاوي، ٢٠١٦) أهم الإشكاليات البحثية التربوية والتي باتت تهدد تطوير البحث التربوي منها: غلبة الطابع الكمي في بعض البحوث التربوية، وافتقارها للمنهج العلمي الدقيق، وغلبة السطحية في التعامل مع المشكلات التربوية التي تؤرق الفاعلين في الميدان التربوي، فضلاً عن الافتقار إلى عملية الربط بين البحث التربوي والقضايا المجتمعية؛ إذ يغلب عليها طابع التسطح والبعد عن مشكلات المجتمعات وهمومها.

وتأسيسًا على ما سبق، تبدو أزمة البحث التربوي واضحة جلية، سببها المغالاة فى التزام الباحثين بحرفيات المنهج الوضعي مع إساءة استخدامه، حتى انزلق إلى الشكلية، ومن هنا أصبح هناك اتفاق على أن صيغة العلم بمنهجه الوضعي القائم، وبسيطرته وهيمنته على جهود البحث التربوي هو مؤشر من مؤشرات الأزمة وتعبير عنها فى نفس الوقت.

وهنا كان لا بد من معالم رؤية بحثية تجديدية لمعالجة بعض جوانب هذه الأزمة، والتي اتفق الكثير على تمثلها في البحث النوعي، وهو ما يتم تناوله بالتفصيل في المحاور الآتية من محاور البحث كما يأتي:

المحور الثاني: الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي في مجال البحث التربوي

أولاً: الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي

تشكل الأسس الفلسفية والفكرية للبحث النوعي أساسًا مهمًا في تطور مناهج البحث العلمي ونشأتها، ومراجعة لمناهج البحث العلمي المعاصرة تكشف أنها تستند إلى رؤية واضحة وأسس فلسفية وفكرية ومعرفية مختلفة تسهم في توفير الأرضية العلمية التي تزود الباحث بمرجعيته الفكرية، وتمده بالكثير من الأفكار التي توسع من خياراته البحثية (فهد بن سلطان الفهد، ٢٠٠٨، ١٧).

وتتشكل هذه الأسس الفلسفية في البحث التربوي من مبحث الوجود الفلسفي (أنطولوجي) الذي يؤمن بأنه ما من إنسان له وجود ذاتي مستقل، بل هو كائن اجتماعي ينمو ويتفاعل مع بيئته.

ومبحث المعرفة الفلسفي (أبستومولوجي)، الذي يؤمن بأن الباحث الكيفي هو نفسه أداة البحث وليس بمعزل عنها، ومبحث الفهم الفلسفي (أكسيولوجي) الذي يؤمن بأنه لا يمكن فصل العمل عن المعنى أو فصل السلوك عن التقاليد والممارسات الحياتية. (مصطفي عبد السميع محمد، وفيليب اسكاروس ٢٠٠٧، ٩٢).

والحديث عن إشكالية المنهج وطرائق البحث وأصولها الفكرية والفلسفية في البحث التربوي - على العكس منه في الفكر الغربي - ليس شائعًا في الكتابات العربية، وقد أدى ذلك إلى نوع من الجمود الفكري في مجال تطوير مناهج البحث وإلى تقلص الخيارات المنهجية البحثية لدى الأكاديميين العرب، ذلك لأن لكل منهج بحثي أبعاده الفلسفية والأيديولوجية التي ينطلق منها، والتي تؤثر في نظرته للمجتمع والإنسان والعالم (خالد سالم ،٢٠٠٨، ٤).

كما أن منهج البحث في أي شكل من أشكاله ذو أبعاد فلسفية وأيديولوجية، وأي نشاط بحثي يتم داخل جماعة علمية يعمل من خلالها الباحث، ويستمد شرعية وجوده العلمي من خلالها، في إطار مرجعيتها وفلسفتها، وعليه فإن الحديث عن مناهج البحث العلمية الكمية أو الكيفية يتطرق إلى مجموعة مترابطة من القواعد والمسلمات الفلسفية والأيديولوجية ، وهذا يعني أن قضية المنهج أكبر من كونها مسألة فنية تتعلق بجمع بيانات أو معلومات عن ظاهرة ما ندرسها، وفيما يلي يمكن عرض مدرستين فلسفيتين ساهمتا في اعتماد البحث النوعي كمنهجية بحثية أساسية في مجال البحث التربوي: (محمد الطيب وآخرون ، ٢٠٠٥ ، ٤٢٨) .

أ) المدرسة الوضعية العلمية

ظهرت المدرسة الوضعية العلمية على يد (أوجست كونت) الذي نادى بوحدانية المنهج - بمعنى دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية ومنها (التربوية) مثل دراسة الظواهر الطبيعية، مما أدى إلى إطلاق أول شرارة للحرب بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، أو بين المناهج الوضعية التجريبية والمناهج النوعية (الكيفية) (فهد سلطان ، ٢٠٠٨، ١٨) ، ففي حين كانت الإشكالية المنهجية – عند المفكرين السابقين – تتركز حول أسس المنهج، حيث يرى (ديكارت) أن أسس المنهج العلمي عقلية، وعلى النقيض منه يرى (بيكون) أن أسس المنهج العلمي تجريبية.

ومن هنا زادت إشكالية مناهج البحث في العلوم الإنسانية، وأصبحنا في مواجهة فريقين من العلماء والمفكرين: فريق يرى أن العلوم الإنسانية يمكن دراستها بالمناهج التي تدرس (العلوم الطبيعية) المناهج التجريبية، وفريق آخر يرى أن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية غير صالحة

للاستخدام مع الظواهر الإجتماعية والإنسانية، نظرًا لاختلاف الظواهر الطبيعية عن الإنسانية (خالد سالم، ٢٠٠٨، ٤).

إلا أنه لظروف تاريخية واقتصادية وثقافية عاشتها أوروبا في تلك الفترة، تمكنت المدرسة الوضعية الإمبريقية من فرض رؤيتها الفكرية والعلمية في مجال البحث العلمي، وأصبح المنهج الوضعي الإمبريقي هو المنهج السائد في مجال العلوم التربوية والاجتماعية عمومًا. ويقوم هذا المنهج على مسلمة أن العلم التجريبي الخالي من الأحكام القيمية والمعتمد على التجريب والتحكم في المتغيرات هو العلم المناسب للبحث في العلوم الإنسانية، بحيث يمكننا من الضبط والتحكم والتنبؤ بدرجة دقيقة مماثلة لتلك التي توجد في العلوم الطبيعية. (محمد الطيب وآخرون، ٢٠٠٥، ٢٩٣)

ب) المدرسة الوظيفية البنائية

تؤكد مجموعة المعارضين للاتجاه الوضعي أن العلوم الاجتماعية والتربوية مختلفة عن العلوم الطبيعية، وأن دراسة الظواهر المرتبطة بها تعتمد على التفسير ومعايشة الخبرة الإنسانية ومدى ارتباطها بالواقع الاجتماعي والنفسي . كما أكد هؤلاء العلماء أنه لا يمكن اكتساب معرفة حديثة وثابتة عن التفاعل الاجتماعي داخل المدرسة سوى عن طريق معايشة الباحث، ومشاركته بدخوله إلى قلب الظاهرة التربوية، ومن خلال ذلك يمكن فهم المعالم السياسية والاجتماعية والثقافية والأهداف ووجهات النظر والقيم والمعاني التي تؤثر فيها وتنطوي عليها الظاهرة محل الدراسة (شبل بدران، ٢٠٠٥، ١٠).

أما منهج البحث النوعي، فقد انطلق من رؤية أبستمولوجية تعتمد على التفسير والتأويل، والاستجابة الذاتية الفردية، لا على النظرة الموضوعية (عبد اللطيف العوفي ،٢٠٠٢، ٧١). ويفترض هذا التوجه في تفسير المعرفة غياب الحقيقة الموضوعية، وإذا كانت موجودة فإن القدرة على الوصول إليها غائبة .وبالتالي فإن الحقيقة هي ما يعتقد الإنسان أنه حقيقة، ويعني هذا أن من غير الصواب فرض نظرية ـ مهما كانت مقبولة في الخارج ـ على المعتقدات الذاتية للأشخاص؛ لأن وضع النظريات والفرضيات والقياسات قبل الدخول إلى الميدان سوف يشوه فهمنا لما يدركه الفرد الذي نقوم على دراسته ذاتيًا، كما أن الحقائق الاجتماعية لا يمكن فهمها أو إدراكها إلا من خلال معطياتها ومعانيها بالنسبة للأفراد في ذلك المجتمع. (موفق الحمداني وآخرون، ٢٠٠٦، ١٧٦).

وقد طالب كثير من المفكرين والباحثين برفض المنهجية الوضعية، وتبني الاتجاهات العقلية في دراسة الظواهر الإنسانية، مما أدى إلى ظهور كثير من المناهج البحثية في هذا المجال مثل

المنهج الظاهراتي والمنهج الأبستمولوجي، والهرمنوطيقي والمنهج النقدي فرانكفورت .ووجهت انتقادات كثيرة للمدرسة الوضعية منها :أنها اختزلت العلم إلى مجرد علم للوقائع، وأنها نفت الأسئلة المتعلقة بالإنسان من قاموسها، كما أنها تحاول تجريد الإنسان من إنسانيته(خالد سالم، ٢٠٠٨، ٢٢). وقد ترتب على هذه الانتقادات ظهور مجموعة من النماذج التنظيرية في مناهج البحث الاجتماعي الداعمة والمؤسسة للمنهج الكيفي منها النموذج النقدي، والنموذج التفسيري الظاهراتي، ونموذج ما بعد الحداثة والتي تمثل النماذج أو التوجهات النظرية التي يجري في سياقها البحث النوعي، وهي التي- رغم اختلاف توجهاتها وأفكارها-تتفق في الحاجة إلى الفهم العميق للواقع من منظورات مختلفة وإلى النظرة الكلية الشاملة، وهو ما يحققه المنهج النوعي (الكيفي). (فوزيه البكر، ٢٠٠٥، ١٢٢). (سعيد سليمان، ٢٠٠٥، ٣٠). (محمد الترتوري ،٢٠٠٨، ٢٥)

ثانياً : دواعي الاهتمام بالبحث النوعي

ظهرت طرائق البحث النوعي نتيجة للنقد الموجه لمناهج البحث الكمية المستخدمة في مجال البحث التربوي، بقيادة كل من :المدرسة النقدية والمدرسة التفسيرية اللتين تريان أن البحوث الكمية التي تستخدم الاستبيانات والطرائق الإحصائية، قد تفهم من قبل المبحوثين على عكس ما يهدف إليه، وأنها لا تدرس الظاهرة التربوية بكل أبعادها بشكل متكامل، فضلاً عن أنها لا تعطي للمبحوثين الفرص الكاملة لتقديم رؤيتهم ووجهات نظرهم (Hamersley, & Atkinson, 1995, 66) .

ويشير كل من (مايل وهوبرمان) (Miles & Huberman, 1999,15 إلى مدى التحول الكبير – منذ الثمانينات من القرن الماضي - إلى استخدام البحوث النوعية ، في مجالات وتخصصات عرفت تاريخيًا باعتمادها المنهجية الكمية الإحصائية، مثل: التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والإدارة، والتخطيط، واللغات، والاقتصاد وغيرها من العلوم الإنسانية .إذ أخذت هذه العلوم تتحول تدريجيا نحو تطبيق البحث النوعي؛ نظرًا إلى ما يحققه من معلومات نوعية تحليلية تعتمد التعمق والتبصر والوصف المكثف، وتفسير الظواهر الاجتماعية، من خلال ربطها بسياقها الطبيعي.

وخلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين تحول عدد من الباحثين الضالعين في مجال المنهجية الكمية في الولايات المتحدة وأوروبا، بعد ما قضوا سنوات طويلة في تدريس وممارسة البحث الكمي، إلى المناهج النوعية الإثنوجرافية بصورة ملحوظة، لقناعتهم أن المناهج البحثية النوعية تحقق - اجتماعيًا وتربويًا - ما عجزت عنه البحوث الكمية.

وفي إطار دراستهما للتطور التاريخي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، يطلق كل من (جوبا ولنكلون(Guba, & Lincoln,. 1998, 12) على المناهج البحثية النوعية" الجيل الرابع لمناهج البحث والتقويم "حيث يريان أن هذا الجيل من المناهج النوعية يقدم لنا دراسات شمولية للظواهر الاجتماعية والتربوية، بما يحويه من أبعاد إنسانية وثقافية وسياسية، من خلال البيئة التي تظهر فيها.

كما يؤدي تطبيق البحث النوعي وإستراتيجياته في المجال التربوي إلى دراسة السلوك الإنساني وفهمه وتأويله، على مستوى من التعمق لا يتحقق في الدراسات الكمية التي تحصر نطاقها في المظهر الخارجي للسلوك، ولا يمكنها الكشف عن الأساليب الكامنة خلفه، أو عن العوامل والقوى السياسية والثقافية التي تكمن خلف هذا السلوك.

وتكمن دواعي الاهتمام بالبحث النوعي وإستراتيجياته في دراسته للعملية التربوية من خلال الإطار الكلي الذي نشأت فيه، وفي الربط باستمرار بين الجانبين الداخلي والخارجي للسلوك من خلال أنماط التفاعل الاجتماعي داخل المدرسة والفصل، والمجتمع المحيط، وفي فهم العلاقة بين الوضع الاجتماعي والطبقي ونوع التعليم والفرص التعليمية المتاحة.

كما يسهم البحث النوعي في دراسة الظواهر والعمليات التربوية، ودوافع التفاعل الاجتماعي، داخل المدرسة، حيث يمكن اكتساب معرفة صادقة وثابتة عنها من الداخل، عن طريق البحث المتعمق المعتمد على الاستبصار (من خلال الملاحظة بالمشاركة والمعايشة) ويتحقق الاستبصار – أو التعمق- عندما ندخل إلى قلب الظاهرة الاجتماعية والتربوية . فالمشاركة في النشاط الاجتماعي والتربوي الذي ندرسه هي السبيل إلى فهم المصالح الاجتماعية والثقافية والأهداف ووجهات النظر والقيم والمعاني التي ينطوي عليها ذلك النشاط (شبل بدران، ٢٠٠٥، ١٢).

كما يساعد البحث النوعي على فهم كيفية تأثير المشاكل التعليمية المختلفة على تكوين أنماط التفاعلات، وبناء المعاني داخل أسوار المدرسة، وكيفية تشكيل هذه المعاني، وكيفية استجابة الطالب والمعلم لها . وبهذه الطريقة يستطيع الباحث التربوي أن يطور العناصر التحليلية والتصورية للتفسير من خلال البيانات الواقعية ذاتها بدلاً من أن يبدأ بفئات كمية مفترضة، قد لا تكون متصلة مباشرة بالطبيعة النوعية للواقع التربوي والإنساني الذي يدرسه (حسن البيلاوي،٢٠٠٣، ٤٢١).

كما أن البحث النوعي في سياقه التربوي أكثر قدرة على دراسة تفاعلات عناصر العملية التربوية من طالب، ومعلم، ومنهاج، وإدارة، حيث يتولى تحليل هذه التفاعلات الإنسانية، لا على أنها

فقط إسقاطات لبنى اجتماعية من خارج المدرسة، بل على أنها تفاعلات ديناميكية يساهم الأفراد في بناء المعاني لها، فالعناصر التعليمية، وبخاصة الطالب، ليست عناصر خاملة، بل عناصر فاعلة وأساسية في بناء عالم المعاني والأفكار التربوية والاجتماعية.

ويذكر كل من (نادر وهبة، ووائل كشك،٢٠٠٣، ٣٦) أن دواعي الاهتمام بالبحوث النوعية وإستراتيجياتها تبلورت من خلال الاهتمام بتقييم العملية التربوية من منظور اجتماعي ثقافي؛ حيث جنح أصحاب هذا التوجه إلى الدخول إلى الصف الدراسي من خلال أبحاث نوعية وإستراتيجيات متعددة (الإثنوجرافيا) لفهم التفاعلات التي تحدث داخله وربطها بالثقافة التعليمية، حيث تمكن الأبحاث النوعية الإثنوجرافية - على سبيل المثال - الباحث من الانخراط في الحياة المدرسية والتعمق في التفاعلات التي تحدث بين المعلم والطلاب، وعلى مستوى المدرسة بين الإدارة المدرسية والمعلمين، وعلى مستوى النظام التعليمي السائد، وأثره على تشكيل مثل هذه التفاعلات.

وكذلك تمكننا الأبحاث النوعية من فهم أعمق لأثر الثقافة السائدة في المجتمع على الممارسات المختلفة التي تحدث داخل أسوار المدرسة، وكيفية قيام المدرسة بنقل هذه الثقافة، عبر ما يسمى بالثقافة المدرسية، وهذه القدرة على الوصف الدقيق والوصول إلى التفاصيل العميقة، هي التي تجعل من استخدام البحث النوعي في الميدان التربوي أمرًا ضروريا للغاية، فهناك الكثير من القضايا التربوية-خصوصًا ما يتصل منها بالثقافة والمجتمع-لا يمكن فهمها ولا دراستها إلا باستخدام البحث النوعي خاصة مع تطبيق المنهج الإثنوجرافي.

إن البحث الإثنوجرافي يمدنا بفهم واضح للواقع التربوي، ويجعلنا أكثر قدرة على فهم التربية، وكيفية إصلاح الواقع، ويجعلنا أكثر قدرة على تقديم صورة سياقية للعمليات الأساسية للتربية، كما تحدث في الحياة اليومية في مدارسنا، نظرًا لأن نتائج هذه البحوث الإثنوجرافية نتائج مشتقة من الواقع الفعلي، وليست مجردات أو وصف للواقع في خطوط ودوائر إحصائية، فهي ذات فائدة كبيرة في دفع المربين والمسئولين تجاه اتخاذ القرارات وتنفيذ الأفعال التي تحدث تغييرًا، وكذلك يكون هذا المدخل ذا قدرة على استحضار الوعي، ليس فقط للباحثين، بل لجميع أطراف العملية التربوية،" حيث توضع المعطيات التي تؤخذ مأخذ التسليم كموضوعات للبحث والتساؤل في حثا جميعًا – باحثين ومفحوصين على التفكير وإعادة التفكير في معطيات واقعنا، وتدفعنا إلى تغيير حياتنا اليومية التي تتفاعل من خلالها في واقعنا الحي (حسن البيلاوي، ٢٠٠٥ ،٤٢٣)

ويرى (رجاء أبو علام، ٢٠٠١، ٣٥٠) أن من دواعي الاهتمام بالبحوث النوعية أنها إذا أحسن إجراؤها يمكن أن تكون بحوثًا قوية توفر للباحث فهمًا للبيانات غير متاح في غيرها من

البحوث، كما أن الفرضيات التي تصاغ في البحوث الإثنوجرافية كثيراً ما تكون أكثر صدقًا من الفروض القائمة على النظرية وحدها (فريد كامل ابو زينة وآخرون، ٢٠٠٧، ١٢٢-١٢٣).

ويشير (محمد مسفر القرني،٢٠٠٩، ٢٢) إلى مميزات البحث النوعي وفوائده في الميدان التربوي، لكونه لا يكتفي بدراسة أنماط سلوك المجتمع المدروس داخل الفصل الدراسي، بل يدرسها كذلك في محيط المدرسة خارج الفصل الدراسي، وفي الأسرة، وفي المجتمع المحيط باستخدام أساليب بحثية عديدة من أهمها الملاحظة بالمعايشة الفعلية للأفراد وهم يمارسون مهام حياتهم اليومية بشكل طبيعي، وذلك من أجل كشف أثر الممارسات الاجتماعية والثقافية والتربوية على تلك الفئة المدروسة.

وأكد (القرني) أن المنهج الإثنوجرافي كأحد استراتيجيات البحوث النوعية، يفيد في معرفة المشكلات التربوية بوجه عام وتحليلها، ومن ذلك مشكلة الأمية بين الكبار وكيفية القضاء على نموها بين الأطفال الصغار في مجتمعنا، بقطع الطريق أمام التسرب وعدم الانتظام في الصفوف الدراسية . كما يشير إلى أن البحث الإثنوجرافي يساعدنا على دراسة البيئة المحيطة بمؤثراتها المختلفة، وذلك لكونها لا يمكن إغفالها عند دراسة ظاهرة تربوية ما داخل المدارس، فالواقع والأبحاث تؤيد أهمية البيئة المحلية في تشكيل شخصية الفرد، وبالتالي تنعكس على تعامله مع الآخرين، وعلى اتجاهاته الفكرية والمعرفية.

وامتدادًا لفوائد البحث النوعي يذكر (شبل بدران، ٢٠٠٥، ١١) أن البحث النوعي يساعد على فهم العديد من القضايا والمشكلات التعليمية والتربوية داخل المدرسة وتفسيرها، مثل العلاقة بين الوضع الاجتماعي والطبقي، ونوع التعليم والفرصة التعليمية المتاحة، وأنماط التفاعل الاجتماعي داخل الفصل والمدرسة، ومظاهر العنف بين الطلاب بعضهم وبعض وبينهم وبين المعلمين، وقضايا مثل :طبيعة الثقافة السائدة في المؤسسة التعليمية مثل ثقافة الديمقراطية أو الاستبداد أو الممارسات اليومية للطلاب والمعلمين والإداريين ستظل تلك القضايا - وغيرها كثير - مجالاً خصبًا وأفقًا أوسع وفضاء أرحب أمام البحث النوعي القادر على الفهم والتعايش مع الظواهر داخل المؤسسة التعليمية.

ثالثاً: ماهية البحث النوعي (المفهوم – الخصائص)

أ) مفهوم البحث النوعي

يمثل البحث النوعي منهجية رئيسة في البحث الاجتماعي تهدف الى تطبيق اساليب بحثية كيفية لا كمية، بهدف الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من الفهم للظاهرة الاجتماعية المدروسة،

من خلال الخوض في تفاصيلها، والوقوف على أبعادها الكامنة، والعوامل المؤثرة في استمرارها وتطورها، بشرط أن يتم ذلك في السياق الطبيعي للظاهرة، ودون قيام الباحث بأي إجراء من شأنه أن يعدل من مسارها أو يعمل على تفسيرها على نحو مخالف للحقيقة أو يضمنها رؤية متحيزة غير موضوعية. (إبراهيم اسماعيل عبده محمد، ٢٠١٥، ١٤٢).

ويعرف كل من (راشد العبد الكريم ،٢٠١٣، ٢١٩)، وبوجدان بيكلن (Bogdan, R. & Biklen, S. 1998,19). ، البحث النوعي بأنه : منهجية في البحث في العلوم الاجتماعية تركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها، ويختلف عن البحث الكمي الذي يركز عادة على التجريب وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية، فالسؤال المطروح في البحث النوعي سؤال مفتوح النهاية ويهتم بالعملية والمعنى أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة، ويعرف دنزين ولينكولن (Denzin & Lincoln, 2005, 3) البحث النوعي بأنه : طرق متعددة التركيز تشمل أسلوبًا تفسيريًا وطبيعيًا لموضوعها. وهذا يعني أن الباحثين النوعيين يدرسون الأشياء في مواقفها الطبيعية، ويحاولون تكوين معنى أو تفسير للظواهر في ضوء المعاني التي يعطيها الناس لهذه الظواهر، مستخدمين مجموعة من الممارسات المادية التفسيرية المتنوعة مثل دراسة الحالة والخبرة الشخصية وفحص الأفكار والمشاعر والدوافع وتاريخ الحياة، والمقابلة والملاحظة والمنهج التاريخي والتفاعل والنصوص المرئية، لوصف اللحظات والمعاني الروتينية والإشكالية في حياة الأفراد.

وعرف البحث النوعي أيضاً بأنه: تقديم وصف دقيق وتفصيلي للغة الإنسان وتفكيره ومشاعره ووعيه ورموزه وسلوكه وتفاعله مع البيئة الفيزيقية والثقافية حوله. (عبد الحميد صبري عبد الحميد، ٢٠٠٩، ٢٧٧).

ويذهب (خالد أحمد مصطفى حجر ٢٠٠٣، ١٣٦ -١٣٧) إلى أن البحث النوعي: محاولة للوصول إلى الفهم المتعمق للمعاني والتعريفات التي يقدمها المبحوثون لموقف ما عند سؤالهم حوله، بدلاً عن القياس الكمي لمميزات سلوكياتهم تجاه ذلك الموقف. ويوجد هذا الاهتمام في مختلف التقاليد الكيفية المتعددة التي برزت مؤخرًا في مجال البحث الاجتماعي بشتى اهتماماته وميادينه، من أهمها: الإثنوجرافيا.

ويعرف (العايب سليم، ٢٠١٢، ٢-٣) البحوث النوعية: بأنها نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناؤها بوجهات نظر الأفراد، والجماعات المشاركة في البحث.

كما يشير (محمد مسفر القرني، ٢٠٠٩، ٥-٦) إلى أنه يمكن تحديد مفهوم البحث النوعي بأنه: البحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع. ومن هنا فالبحث النوعي الكيفي يستند على البعد الذاتي للخبرة الإنسانية دائمة التغيير وفقًا لمعطيات الزمان والمكان؛ فالباحث بهذا المنهج لا يستطيع تحييد ذاتيته المهنية، فهو جزء من الظاهرة المدروسة يؤثر فيها ويتأثر بها.

ويوضح (محمد خليل الرفاعي، ٢٠١١، ٦٩٠) أن البحوث النوعية تعرف بأنها: سلسلة من التوقعات والتناقضات والأحكام غير المؤكدة، وعلى الرغم من ذلك توفر العديد من الوسائل التي يمكن بواسطتها تعرف كيفية تعامل الأفراد مع عالمهم.

والملاحظ أن البحوث النوعية تعد الإطار أو السياق الذي تحدث فيه الظاهرة محل البحث جزءًا من الظاهرة ذاتها، وهنا لا يقوم الباحث بأية محاولة لإدخال ضوابط تجريبية على الظاهرة محل الدراسة أو يتحكم فى المتغيرات الخارجية المحيطة بها بأي صورة من الصور، حيث يتم فحص ودراسة كل جوانب المشكلة محل الدراسة كما هي من أجل الكشف عن خصائصها والمتغيرات المؤثرة في تطورها، وذلك على النحو الذي يساعد على فهمها بشكل صحيح. (عادل محمد ريان، ٢٠٠٣، ٣).

وقد اتخذ البحث النوعي عدة أسماء، منها البحث الطبيعي، لأنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، وقد يسمى البحث التفسيري، لأنه لا يكتفي بالوصف فقط بل يتعداه للتحليل والتفسير، وقد يسمى - خاصة في مجال دراسات علم الإنسان - العمل الميداني، ويسمى أحيانا في هذا المجال أيضا الإثنوجرافي. وهناك فرق بينه وبين (البحث الوصفي) الذي يأتي ضمن أنواع البحث الكمي، الذي يعتمد بدرجة أساسية على الأرقام والاستبيانات. (Gay, 1996, 208) وهو أحد أنواع البحوث التي يتم اللجوء إليها في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للظاهرة الإنسانية . والذي يبحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع (إبراهيم عبد الرحمن رجب، ٢٠٠٣).

وفي هذا الصدد يشير (ماكس فيبر) وهو أحد علماء الاجتماع إلى أن فهم سلوك الأفراد والجماعات يتطلب من الباحث فهم رؤية المبحوثين وقيمهم واتجاهاتهم التي يتبنوبها وهو ما سماه بالفهم التعاطفي (Nachmias, C. & Nachmias, D.1992,35) ، وهذا الفهم يتضمن جوانب متعددة لفهم الظاهرة الإنسانية، قد لا يمكننا البحث الكمي من خلال الأرقام والإحصائيات من فهمها

والوقوف على طبيعتها والإلمام بكافة أبعادها، بينما في المقابل يمكننا البحث الكيفي من الاندماج مع الظاهرة النسانية والتعايش معها وصولاً إلى الفهم المتعمق لها (Riessman, C. 1994,34)

والمنهج الكيفي لا يقتصر دوره على مجرد وصف الظاهرة بل يتعدى ذلك إلى بناء النظريات العلمية من خلال المشاهدات والخبرات التي يعيشها الباحث في دراسته (Mehdi, T& Mansor A,2010, 574), ولا يسعى فيه الباحث لأن تكون العينة ممثلة إحصائيا، كما في البحث الكمي. بل العينة يقررها الباحث بناء على الهدف من بحثه والسياق الذي يتم فيه البحث، بما يضمن توفر معلومات كافية للوصول لفهم أعمق لمجتمع الدراسة. فالقصد ليس الخروج بنتائج يراد تعميمها، بل التعمق في فهم الحالة أو الظاهرة المدروسة. (Hohnson, R. & Waterfield, J. 2004, 121).

ومع تعدد تعريفات البحث النوعي يمكن ملاحظة أن كل هذه التعريفات تتفق على أن المقصد هو "الفهم" الأعمق لسلوك الإنسان وخبراته، ووصف عمليات بناء المعاني التي يستخدمها الناس وما هي تلك المعاني. فعلى النقيض مما هو موجود في البحث الكمي لا يسعى البحث النوعي لجمع "حقائق" عن سلوك الإنسان يتحقق منها على ضوء نظرية معدة، تمكن العلماء من التنبؤ بسلوك الإنسان من خلال التعميم، بل ينظر إلى سلوك الإنسان على أنه من التعقيد بحيث يصعب فهمه بهذه الطريقة. فالنظر للبحث من خلال منظور السبب والنتيجة أو التنبؤ يؤثر سلبا في قدرة الباحث على النظر بشكل أعمق للمعاني التي يتضمنها سلوك الإنسان.

ب) خصائص البحث النوعي

تكمن خصائص استخدام البحوث النوعية فى التربية فى الأمور التالية .... (عبد القادرعرابي،٢٠١٤، ٧٠ -٧٥)، (Gobo,2008,32)، (محمود حسن الاستاذ، ٢٠١٣، ٨٨)، (الطيب وآخرون،٢٠٠٥، ٤٢٨)،(McMillan&Schumacher,2001,420)

١- البحث بوصفه متفاعلاً: يوصف البحث النوعي بأنه بحث تفاعلي يتطلب وقتًا طويلاً للملاحظة والمقابلة وتسجيل المعلومات كما تحدث بشكلها وفى مواقعها الطبيعية ويستغرق أوقاتًا طويلة تتراوح بين أشهر إلى عدة سنوات خصوصًا عندما يتطلب دراسة الظاهرة التربوية في أكثر من موقع ويركز البحث النوعي على وصف السياق دون محاولة من الباحث فرض نظامه أو معتقداته على الموقف البحثي. (Gobo,2008,32) (عبد القادر عرابي،٢٠١٤، ٧٠) (Mehan,1992,15: Hammersley & Amb: Atkinson,1995. 32)

٢- المنهجية والأهداف: يختلف البحث النوعي عن الأبحاث الأخرى بمنهجيته وأهدافه، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث النوعي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث: المدرسة، الصف، المستشفى، السجن، الخ، ويتطلب آليات معينة لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية داخل الصف أو خارجه، وكذلك إجراء مقابلات مع الطلاب والمعلمين والمعلمات والإداريين والأهالي وتحليل وثائق ويوميات ذات صلة. (محمود حسن الأستاذ، ٢٠١٣، ٨٨).

٣- أهم ما يميز البحث النوعي عن بقية الأبحاث خاصة الكمية منها هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث وهذا الوضع بحد ذاته لدى بعض الباحثين غير مريح ويؤدى إلى إشكالية، وبخاصة في بداية البحث هذا ما حصل مع كثير من الباحثين الإثنوجرافيين الذين لم تتبلور أسئلة الدراسة معهم إلا بعد مرور فترة من الزمن استطاعوا من خلالها التخلي عن الكثير من الأفكار التي توقعوها قبل دخولهم الميدان ولجؤوا إلى أفكار أخرى شكلت محور اهتمامهم أثناء وجودهم في الميدان لكن هذا لا يعفيهم من تحديد إطار عام وخطوط عريضة تمكنهم من تحديد زاوية النظر للبحث (محمود حسن الأستاذ، ٢٠١٣، ٨٩). فليس هدف الأبحاث الإثنوجرافية الوصول إلى تعميمات نظرية أو إصدار أحكام أو حتى الخروج بتوصيات بل مجرد الكشف عن مشكلات وظواهر داخل المدرسة ربما يكون بعضها عائقاً خفياً أمام تحقيق الأهداف التعليمية التربوية داخل المجتمع التربوي، وبالتالي فإن الهدف ليس التعميم بقدر الفهم.

٤- تتركز أهمية البحث النوعي في كونه يقدم وصفًا مكثفاً للظاهرة محل الدراسة كما يسعى إلى الكشف عن غير المتوقع للظاهرة التربوية اعتمادًا على مشاركة الباحث المتعمقة لمجتمع الدراسة ولكونه الأداة الرئيسية في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها. (Miles&Huberman,1999,15).

٥- يعتمد البحث النوعي في جمع بياناته أساسًا على الملاحظة خصوصًا الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المفتوحة المتعمقة في عينة الدراسة، ومن ثم الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة عوضًا عن الأرقام والجداول الإحصائية. هذا ويتميز البحث النوعي بالمرونة في الطريقة والتحليل كما أنه بحث غير مقنن فلا يخضع لضغط سابق للمتغيرات كما أن له

القدرة على الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة. (Angrosino,2008,32).

٦- الانفتاح :إذا كانت عملية البحث الكمي مقننة ومحددة، فإن عملية البحث الكيفي تكون مفتوحة، إن المناهج الكمية مغلقة، وتتحكم خطوات البحث فيها بعقل الباحث، أما المناهج الكيفية فتعتبر البحث مجالاً وأفقًا مفتوحًا أمام الباحث والمبحوث للتعديل والتطوير.

إن مبدأ الانفتاح يتضمن على الصعيدين النظري والمنهجي، مجموعة من النتائج، وأهمها:

- تأكيد الوظيفة الاستكشافية للبحث الاجتماعي الكيفي.
- التخلي عن تكوين الفرضيات مسبقاً.
- التركيز على البحث الميداني الاستطلاعي، وهذا ما يهمله البحث الكمي غالباً.
- إن البحث الاجتماعي هو بحث اكتشافي إلى حد ما، واكتشاف ووصف ميدان الدراسة يكون على حساب الدراسة النظرية للموضوع، وهذا مأخذ على المنهج الكيفي وتعدل الفرضيات وتوسع بناء على البيانات التي تم الحصول عليها في عملية البحث الميداني .وعليه فإن النظريات الاجتماعية والأنثروبولوجية لها طابع دينامي، ذلك أنها تتطور في أثناء عملية البحث على أساس البيانات القائمة.

٧- الطابع الديناميكي بين البحث والموضوع :إن فهم البحث عملية تفاعل واتصال بين الباحث والمبحوث، مما يعني أن العلاقة بين البحث والموضوع دينامية، وهذه الدينامية هي ما تميز البحث وموضوعه. إن البحث الكيفي يهتم في المقام الأول بنماذج Hopf وكما تقول (هوبف) التفسير والفعل، التي لها إلزام اجتماعي محدد، لكن هذه النماذج الجماعية للفعل والتفسير لا يمكن تصورها على أنها موجودة وغير متغيرة، وإنما يعاد إنتاجها وتغيرها وفقاً لفرضيات علم الاجتماع الكيفي من خلال أفعال وتأويلات أعضاء المجتمع الفاعلين.

٨- التأمل النقدي للموضوع والتحليل :يتميز البحث الكيفي بالتفكير النقدي بالموضوع، أو تأمل موضوع البحث وعملية البحث . إن مبدأ التأمل بالنسبة إلى موضوع التحليل، أي الظواهر والعمليات التي ينبغي دراستها، يقوم على التصور النظري لمجال الموضوع ذاته، إن الفرضية الأساسية للنموذج التفسيري تكمن في افتراض التأمل النقدي لمعاني منتجات السلوك البشري (اللغوية الرموز، أفعال اللغة، التأويلات اللغوية أو غير اللغوية، والإشارات، والأفعال).

٩- التفسير: يعني مبدأ التفسير أن نتوقع من الباحث الكيفي بيان الخطوات المختلفة لعملية البحث بقدر الإمكان، وتتحدد أيضاً القواعد التي ينبغي بموجبها تفسير البيانات التي تم

الحصول عليها ميدانياً، ويتعين على الباحث الكيفي تفسير بياناته بشكل أفضل، وألا يقع فريسة للتكميم والترميز، كما هو الحال في البحث الكمي؛ فالبحث الكيفي فكري وعقلي وميداني، حتى الواقع الإمبريقي فإنه يبحث كإشكالية فكرية ومعرفية، بخلاف منهج البحث الكمي الذي يغلب عليه الطابع الآلي التقني.

١٠- المرونة: في البحث الكمي يكون ميدان البحث معروفاً ومحدداً، لذلك لا وجود للانفتاح والمرونة .أما بالنسبة إلى الباحث الكيفي فإنه يتعين عليه أن يطور ويحدد عملية البحث، بحيث إن مهمته، تتمثل في أنه يوجه البحث للحصول على البيانات والتفسيرات من الحياة الاجتماعية الإمبريقية، فالبحث يبقى متجذراً فيها. وأخيراً، فإن هدف البحث الكيفي يكمن في كيفية طرح المشكلة وعرضها والحصول على البيانات المطلوبة.

١١- التفكير الاستقرائي: تنطلق البحوث الكيفية من منطلق منهجي يفترض أن الظاهرة الإنسانية ظاهرة متغيرة ونسبية وهذا يتطلب فهمها فى السياق الذي تحدث فيه والواقع المرتبط بها، ومن هنا يجب البدء من الجزئيات المتكونة من الملاحظة بالمشاركة والمعايشة للواقع كما هو؛ وصولاً إلى أنماط من التفسير والتحليل لإيجاد العلاقات، ثم من ذلك استنتاج فرضيات مبدئية وأخيرا الوصول إلى نظريات يمكنها تفسير الظاهرة المدروسة (رجاء علام، ٢٠١٠، ٢٥٨)

١٢- الأداة الإنسانية: إن الباحث في البحوث الكيفية هو أداة جمع البيانات؛ (فيليب اسكاروس، ٢٠٠٢، ٤١)٠فهو يلاحظ ويشارك ويسجل ميدانياً، ويقوم بتحليل وتفسير ذلك والوصول إلى المعاني الكامنة خلف الظاهرة المدروسة. وعلى هذا فهو في اعتماده على المقابلة الشخصية والملاحظة غير المحددة وتحليل الوثائق ينغمس مع وحدة الدراسة ويتفاعل ويتحد معها؛ سعياً إلى الفهم المتعمق والتفسير الواقعي لكيفية حدوثها والكشف عن قوانينها الداخلية المتشابكة والمعقدة بوعي وإدراك. (محمد مسفر القرني،٢٠٠٩،٢٢).

١٣- يحتاج الباحث الإثنوجرافي إلى درجة من الحساسية تمكنه من الإحساس بالجو العام والتفاعلات داخل حقل الدراسة، ويتطلب ذلك قدرة على جمع المعلومات من مصادر متعددة وربطها بالسياق الثقافي والاجتماعي، وتحويلها إلى معان ودلالات ذات صلة بموضوع الدراسة الكلي (ذوقان عبيدات، ٢٠٠٢، ١٧٧).

المحور الثالث: استراتيجيات البحث النوعي في مجال البحث التربوي وإجراءاتها المنهجية

مصطلح البحوث النوعية (الكيفية)، مصطلح شامل يحتوي على استراتيجيات مختلفة من البحوث في مجال البحوث التربوية منها (البحوث الإثنوجرافية، ودراسة الحالة، والبحوث الميدانية، وبحوث الملاحظة بالمشاركة) ، وتختلف هذه البحوث عن بعضها البعض في أسسها الفلسفية والتحليلية، إلا أن بينها جميعا عددا من المظاهر المشتركة تضعها في تصنيف واحد مقارنة بالبحوث الكمية (Bogdan.R.C.& Biklen,S.k,38)

ويقتصر البحث الحالي على نموذج من هذه الاستريتيجيات هوالإثنوجرافيا ويتم تناوله من حيث: (مفهومه – تساؤلاته – أدواته – وسائل جمع بياناته–خطوات بنائه– العلاقة بين المنهج الإثنوجرافي والأنثروبولوجيا)

أولاً: مفهوم المنهج الأثنوجرافي

من التوجهات التي أخذت تظهر أكثر فأكثر في البحوث التربوية في الآونة الأخيرة المنهج الإثنوجرافي في البحث، والسبب الرئيسي في الاهتمام المتزايد بالبحوث الاثنوجرافية غالباً هو عدم الارتياح للطرائق التقليدية في بحث بعض المشكلات التربوية التي تتبنى استراتيجيات وميكانيزمات من العلوم الطبيعية، ورغم أن تطبيق المنهج الاثنوجرافي توجه حديث في التربية، فإنه ليس استراتيجية بحثية جديدة. فقد استخدمه الأنثروبولجيون .(Margaret Mead -1978) مثل (مارجريت ميد) وهي واحدة من أكثر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية –استخداماً وأسعاً منذ سنوات طويلة كطريقة لدراسة ووصف الثقافات الإنسانية، والتعرف على الثقافات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الثقافات البدائية. وبالتالي استمدت الاثنوجرافيا قواعد تنظيمها وأسسها من علم الأنثروبولوجيا.(عبد اللطيف العوفي،٢٠٠٢، ٢٩٢)، (مريم محمد الشهري، ٢٠١٦، ٥٠) وقد ازداد الاهتمام بالبحث الإثنوجرافي في المجال التربوي بوصفه منهجاً نوعياً غير كمي يمكن من خلاله دراسة الظواهر والمشكلات التربوية داخل الأسرة والمدرسة والمنظومة التعليمية بأكملها، فقد تكون الأساليب الكمية غير مناسبة أو غير قادرة على دراستها بصورة تكاملية.

وبمراجعة الأدبيات العلمية تظهر صعوبة تحديد مفهوم المنهج الاثنوجرافي على نحو قطعي الدلالة، نظرا إلى الطبيعة الخاصة التي ترتبط بتصميمه وأساليب تنفيذه، ولذلك فإنه لا يوجد تعريف موحد متفق عليه بين الباحثين (فهد بن سلطان السلطان، ٢٠٠٨، ١٠) إلا أن هناك بعض المحاولات لتعريفة كما يلي:

يعرف Pation المنهج الأثنوجرافي بأنه يعنى بالثقافة بشكل خاص، فسؤاله الدائم هو: ما ثقافة هؤلاء الناس؟ فى حين أن (ogbu,1996,33) يعتبره "طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع أو جماعة ما وطرقه فى الحياة اليومية من خلال معرفة أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكاتهم، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة فى الوضع الطبيعي الحياتي من طرف الباحث (فهد بن سلطان السلطان، ٢٠٠٨ ، ١١) أما (كمال زيتون ،٢٠٠٦، ١٢٤، ٣٠٦) فبين أن المعنى الحرفي للفظة "اثنوجرافي" هو" : الكتابة عن مجموعات من الأفراد"، وباستخدام هذا التصميم الكيفي، يمكن تحديد مجموعة من الأفراد، ودراستهم في منازلهم أو في أماكن عملهم، وملاحظة كيف يسلكون ويفكرون ويتحدثون، ونضع تصورا كلياً لهذه الجماعة. فالمنهج الاثنوجرافي هو منهج لوصف الواقع واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة. ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للميدان أو الحقل موضوع الدراسة.

وعرفه أيضاً (رجاء أبو علام ،٢٠٠١، ٣٤٨) بأنه أحد نماذج البحوث الكيفية، يتضمن جمعاً مكثفاً للبيانات، أي جمع البيانات عن العديد من المتغيرات على فترة ممتدة من الزمن وفي وضع طبيعي، ويقصد بمصطلح "وضع طبيعي" أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموضع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وأثناء حدوثها. وليس في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط. ويضيف أيضاً (رجاء أبو علام) أن هذه الأداة البحثية امتدت تطبيقاتها إلى كثير من مجالات العلوم التربوية نتيجة لعدم الارتياح للطرق التقليدية في بحث الظواهر الإنسانية، وذلك لما يترتب على استخدامها من فهم أعمق وتحليل أشمل للظواهر.

أما (فريد كامل أبو زينة وآخرون، ٢٠٠٧، ١١٥-١١٦) فيرون أن الاثنوجرافيا مصطلح يطلق على البحث الميداني الذي يعتمد على ملاحظة الباحث المشارك للأحداث في سياقها الطبيعي، كما يطلق أيضاً هذا المصطلح على البحث الظاهراتي أو الملاحظة الطبيعية (الاستقصاء). وأنه وصف تحليلي للمشاهد الاجتماعية، (الأفراد والجماعات) يعيد بناء مشاعرهم المشتركة ومعتقداتهم وممارستهم والمعرفة لديهم. كما أنه دراسة الاستراتيجيات التفاعلية في حياة الإنسان.

ويشير هافيلاند (Haviland , W. 1994,6) إلى أن الاثنوجرافيا هي الوصف المنظم للثقافة الإنسانية المشتقة من الملاحظة الأولية، أي هو الاتجاه الذي يهتم بالوصف للثقافات الإنسانية.

كما يشير (عبد الله الكندري، ٢٠٠٦، ١٣) إلى ضرورة التمييز بين البحث الوصفي والبحث الاثنوجرافي. فالأول يعتمد على دراسة الظواهر الاجتماعية كما هي بالواقع من خلال تقديم وصف دقيق ومعبر عنه كمياً وكيفياً، أما الآخر فيرتبط في واقعه بأداة بحثية تمثلت في أداة الملاحظة بالمشاركة والاثولوجيا البشرية اهتمت بالجانب العضوي للسلوك الإنساني من خلال دراسته في إطاره الطبيعي عبر مرحلة زمنية محددة من خلال تسجيل الأنماط المتعاقبة للسلوك الثابت سعياً للوصول إلى قاعدة عامة حول السلوك والتفاعل الإنساني (خالد احمد مصطفي حجر،٢٠٠٣، ١٤٣).

أما (مصطفى عبد السميع محمد، ٢٠٠٥، ٢٢) فقد أشار إلى أن البحث الاثنوجرافي هو منهجية وصف الجماعة بمعنى محاولة الإجابة عن أسئلة تتعلق بحياة الجماعة، وهي بذلك تربط بين الثقافة والسلوك الإنساني عبر فترة زمنية معينة، وترتكز الإثنوجرافيا على معرفة تفصيلية حول دقائق الحياة الاجتماعية أو ظاهرة ما من خلال عدد صغير ممثل من الحالات التي يدرسها الباحث بالمعايشة.

وتتعدد مسميات المنهج الإثنوجرافي فقد يطلق عليه البعض: الأنثروبولوجيا التربوية، وملاحظة المشارك والبحث الميداني والاستقصاء الطبيعي. ويوصف البحث الاثنوجرافي أيضاً بأنه بحث تفاعلي يتطلب وقتاً طويلاً للملاحظة والمقابلة وتسجيل العمليات كما تحدث بشكلها وفي مواقعها الطبيعية. (فريد كامل أبو زينة وآخرون، ٢٠٠٧، ١١٦)، (رجاء أبو علام، ٢٠٠١، ٣٤٩)

ويهدف البحث الإثنوجرافي إلى الوصول لفهم متعمق للطريقة التى يتبعها الأفراد المنتمون إلى الثقافات المختلفة والثقافات الفرعية في إدراك معنى واقع حياتهم التى يعيشونها. فالمعنى الحرفى لكمة الاثنوجرافيا هو الكتابة عن الثقافه ويقوم الاثنوجرافيون (بالمضى داخل) العوالم الاجتماعية للسكان في مجتمع بحثهم، بينما يوجد أولئك الإثنوجرافيون خارج هذا المجتمع حيث يقومون بملاحظة وتسجيل الحياة الاجتماعية المتواصلة لأفراد هذا المجتمع وذلك عن طريق تقديمهم وصفاً مكثفاً لهذه البيئة الاجتماعية وللحياة اليومية للأفراد الذين يعيشون فيها. فالإثنوجرافيون يقدمون صوراً تفصيلية لما في ثقافة ما أو ثقافة فرعية ما، أو جماعة ما، من ممارسات وعادات الحياة اليومية وكثيراً ما يقومون – أثناء ذلك – بجمع المنتجات والمصنوعات

اليدوية وغيرها من المواد الثقافية، وهم يسجلون ويحللون تلك التشكيلة المتنوعة من الأبنية الاجتماعية داخل مجتمعها، باذلين اهتماماً بالحياة الدينية والعائلية ، والسياسية ، والاقتصادية . وتعد هذه الطريقة صريحة وشخصية كما أنها تتم عادة في مجتمعاتها الطبيعية أى في تلك الأماكن التى يباشر فيها الأفراد حياتهم اليومية وليس في مكان سابق الإعداد يقوم الباحث بترتيبه أو إعداده في موقف محدد. (شارلين هس يبير، وباتريشيا ليفي ،٢٠١١، ٣٨٨)

ثانياً: تساؤلات المنهج الاثنوجرافي

الباحث الاثنوجرافي يبدأ بأسئلة بحثية أولية متوقعة، وعادة ما يقوم بإعادة صياغتها أثناء عملية جمع البيانات. وهي عبارة عن أسئلة بحثية مصاغة بشكل عام حول موقف ما (أي الأفراد، الزمان، المكان، والأحداث). ما الذي يحدث؟ لماذا حدث ذلك؟ وكيف؟ وقد يعتمد الباحث الاثنوجرافي على عدة مصادر في استخراج أسئلة من مثل الأحداث اليومية الشائعة، والخبرات الشخصية، والأيديولوجيات والفلسفات والنظريات والأدب السابق والمشكلات والأفكار التي يحددها الآخرون في الموقف، بالإضافة إلى حدس الباحث بإثارة التساؤلات مثل: ماذا سيحدث الآن؟ ماذا يعني الحدث للمشاركين؟ كيف يمكن التعامل مع هذا الحدث؟ ويسعى الباحث الاثنوجرافي إلى اكتشاف المعاني المتعددة لدى المشاركين حول الأحداث والعمليات دون أن يحاول التحكم بالموقف، أو إجراء أي معالجة. (فريد كامل أبو زينة وآخرون، ٢٠٠٧، ١١٩-١٢٠).

ونلجأ إلى البحث الاثنوجرافي لأجل دراسة جماعة دراسة تجعلنا نفهم موضوعاً ما أكثر تعقيداً. كما نجريه عندما تتوفر مجموعة مشتركة الثقافة، بشرط أن تكون استمرت معاً لفترة من الوقت وتحمل بعض القيم المشتركة والمعتقدات واللغة. فأنت تقوم بتحديد قواعد السلوك، مثل العلاقات غير الرسمية بين المعلمين الذين يفضلون أماكن محددة ليقضوا فيها نشاطهم الاجتماعي. وقد تكون المجموعة مشتركة الثقافة محدودة الإطار، مثل: (المعلمين، التلاميذ، أو طاقم العمل) أو قد تكون واسعة الإطار؛ مثل: (دراسة مدارس بأكملها، ونجاحها، ومبتكراتها) فالباحث يقوم بالبحث الاثنوجرافي عندما يحظى بمعرفة طويلة المدى بهذه المجموعة مشتركة الثقافة؛ حيث يمكن بناء سجل مفصل لسلوكياتها ومعتقداتها بذات الوقت. (كمال زيتون، ٢٠٠٦، ١٢٥)

ثالثاً: أدوات المنهج الاثنوجرافي

إذا كانت القاعدة الأساسية للمناهج الكمية هى الإحصاء والقياس والتعامل مع السلوكات كمعطيات رقمية، فإن المنهج الأثنوجرافى يعتمد على تقنيات أخرى لا يأخذ فيها القياس المكان الرئيسى، وإنما يترك المجال لتقنيات أكثر ملاءمة لظاهرة الاجتماعية والنفسية.

ويُعتبر الباحث الأداة الرئيسة في المنهج الكيفي الاثنوجرافي بتصميماته المتعددة "ويستخدم طريقة الملاحظ غير المشارك أو الملاحظ المشارك أو كليهما، كما يتميز بأنه بحث متعدد الأدوات، يستخدم فيه الباحث الاثنوجرافي ألواناً مختلفة من استراتيجيات جمع البيانات المرتبطة بالملاحظة. فهناك الملاحظة بالمشاركة الأولية التي توفر بيانات للباحث تساعده على اختيار طرق أخرى مناسبة يمكن له استخدامها في بحثه، مثل استخدام الأساليب اللفظية والأساليب غير اللفظية (pelto & pelto, 1978). وتتضمن الأساليب اللفظية التفاعل بين الباحث.والأشخاص في بيئة البحث، ويمكن فيها استخدام بعض الأدوات مثل الاستبيانات والمقابلات ومقاييس الاتجاهات وبعض المقاييس النفسية الأخرى. أما الأساليب غير اللفظية فهي أقل تغلغلاً، فمن المحتمل أنها أقل تأثيراً في السلوك الذي يدرس، وتتضمن استراتيجيات أخرى مثل أدوات التسجيل وفحص السجلات المكتوبة. (رجاء أبوعلام ٢٠٠١، ٣٤٩) أما (فريد كامل أبو زينة وآخرون، ٢٠٠٧، ١٢٢-١٢٣) فيرى أن هناك ستة أدوار محتملة للباحث في البحوث النوعية الميدانية،وهي كمايلي:

- ملاحظ بالكامل complete observer
- مشارك بالكامل full participant
- ملاحظ مشارك participant observer
- ملاحظ داخلي insider observer
- مقابل Interviewer
- باحث مشارك participant researcher

ويتنوع تأثير هذه الأدوار على المشهد أو الموقف الاجتماعي وعلى الأشخاص موضوع الدراسة. فدور الملاحظ (فقط) هو دور الشخص الغائب مادياً ومعنوياً، فهو كالشخص الذي ينظر من نافذة ذات اتجاه واحد. ودور المشارك الكامل هو دور الشخص الذي يمر بالتجربة أو الخبرة، ويقوم بتذكر الأحداث وكتابة أفكار وآراء شخصية عن الموقف أو الخبرة التي عاشها. ولكون كلا الدورين غير تفاعليين فإنهما غير ملائمين للبحث الاثنوجرافي، لكن يمكن استخدامهما في أشكال أخرى من البحث النوعي. وتلائم أدوار الملاحظ المشارك والمقابل معظم أشكال أو أنماط البحث

النوعي الميداني؛ وتحديداً البحث الاثنوجرافي. وينحصر دور الباحث كملاحظ مشارك في جمع البيانات.

وبالنسبة للملاحظ الداخلي، فهو شخص يمتلك دوراً في الموقع مثل المدير، المشرف، المرشد، المعلم. ومثل هؤلاء الأشخاص موجودون حتى لو لم يتم إجراء الدراسة في ذلك الموقع. أما المقابل فيتحدد دوره بالهدف من الدراسة، حيث يبدأ هذا الدور بالاتصال مع الشخص المراد مقابلته لطلب موعد مسبق وشرح هدف الدراسة وتبيان مدى السرية، ثم يختار الشخص الذي سوف تتم مقابلته الوقت والمكان. بعد ذلك يزور الباحث هذا الشخص عدة زيارات وذلك من أجل التوصل إلى فهم عميق لموضوع الدراسة.

إن الباحث الاثنوجرافي باحث متعدد الأدوار، وهذه الأدوار تتضمن قدراً من المرونة في التواصل مع المشاركين وإنشاء العلاقات الاجتماعية والانتقال من دور مناسب لمجموعة أو فرد، إلى دور يناسب مجموعة أخرى أو فرداً آخر. كما أن بعض الدراسات الاثنوجرافية تتطلب دوراً مزدوجاً للباحث كباحث ومشارك أيضاً في الدراسة.

كما يعتبر الباحث الاثنوجرافي ملاحظاً حساساً، مسجلاً للظواهر بأمانة قدر المستطاع، وعلى العكس من أدوات التسجيل الميكانيكية يستطيع الباحث الاثنوجرافي طرح تساؤلات إضافية و مراجعة إحساساته، ثم الانتقال بعمق نحو تحليل الظواهر، ويتنوع العمل الميداني للباحث وفق ستة أبعاد كما يراها (أبو زينة وآخرون ٢٠٠٧، ١٣٢-١٣٣)

- دور الباحث : فقد يتخذ الباحث دور المشارك الكامل بالحدث، أو دور المشارك الملاحظ بشكل جزئي، وقد يقتصر دوره على الملاحظ الخارجي (المتفرج)
- منظور الباحث: إن الباحث الذي ينتهج المنحى الداخلي يركز على لغة وسلوكيات الأفراد والجماعات، في حين أن الباحث الذي يعتمد على تصنيفه هو للغة المشاركين وسلوكياتهم من منظوره هو باحث ينتهج المنحى الخارجي .
- دور فردي أو تشاركي : يقوم الباحث نفسه بالعمل الميداني كفرد أو مجموعة من الباحثين
- الظهور العلني أو الخفي: يمكن أن يؤدي الباحث دوره في العمل الميداني بشكل علني أو صريح أو معلن لدى الأفراد والجماعة في الموقع، ويمكن أن يتخذ دوراً مخفياً لا يدركه هؤلاء الأفراد. ولكل من هذين الدورين إيجابيات وسلبيات .

- الفترة الزمنية : تختلف الفترة الزمنية التي يقضيها الباحث في الموقع لجمع البيانات حسب طبيعة البحث ونوع البيانات، وأحيانا تستمر بعض الأبحاث لسنوات في بعض الدراسات الاثنوجرافية لمجتمعات معينة(patton, 2002, 273) ، وقد تستغرق بضعة أسابيع؛ كما أن هناك مقابلات تمتد لساعات ومقابلات لمدة زمنية لا تزيد عن الساعة؛ كما أن دراسة أدوار مدير المدرسة ونشاطاته تمتد لمدة عام دراسي كامل.
- تركيز المشاهدات: قد يكون اهتمام الباحث التركيز على عنصر واحد في الموقع. كأن يركز على أسلوب المعلم في طرح الأسئلة على الطلبة، أو على إجابات الطلبة على أسئلة المعلم، وقد يكون اهتمام الباحث واسعا، بحيث يشمل كل أنواع التفاعلات والسلوكيات التي تتم داخل الغرفة الصفية.

رابعاً: وسائل جمع البيانات في المنهج الاثنوجرافي (الملاحظة المشاركة– المقابلة – تحليل الوثائق)

يتم جمع البيانات النوعية من خلال ثلاث وسائل، وفيما يلي وصف مختصر لكل منها:(فريد كامل أبو زينة وآخرون ٢٠٠٧، ١٢٥)

١- الملاحظة المشاركة:

لعل أهم طرق جمع البيانات في الدراسات الاثنوجرافية هو ملاحظة المشارك، حيث يكون الملاحظ جزءا من الموقف الذي يقوم بملاحظته، ويصبح فردا في المجموعة التي يشاهدها. ويقوم بمشاركتهم فى أنشطتهم وممارستهم اليومية، وأثناء انخراط الباحث فى أنشطة الحياة اليومية يقوم بملاحظة ما يحدث داخل الجماعة وكتابة وصف تفصيلي لكل ما يراه أو يسمعه أثناء فترة الملاحظة.(Delamant, 2002, 8) ، (عزة جلال مصطفي نصر، ٢٠١٣، ٢٤٠).

والفلسفة وراء هذا الأسلوب أن مشاهدة الموقف من الداخل في بعض الحالات تكون أكثر دقة من مشاهدتها من الخارج. وهناك درجات لمشاركة الباحث، فقد تتم الملاحظة بطريقة ظاهرية أو خفية .ويتوقع من الباحث الذي يقوم بالملاحظة توخي الموضوعية ما أمكن.

وتتيح الملاحظة المشاركة فرصة تعلم المعانى الحقيقية والخاصة بالأشياء والأحداث والمواقف وممارسات الأفراد داخل الحقل الميدانى المراد بحثه، فالملاحظة المشاركة ليست مجرد مشاهدة بسيطة لحدث ما، بل يقوم الباحث بوضع أفكاره وتحيزاته الخاصة جانبا، ويتعلم المعتقدات والقيم والطقوس والسلوكيات الخاصة بالجماعة المدرسية. (Eisenhart, 2001, 23)

والملاحظة المشاركة تتكون من عنصرين هما المشاركة والملاحظة، فلابد للباحث من مشاركة الأفراد موضع الدراسة فى أنشطتهم اليومية حتى يعتاد هؤلاء الأفراد على تواجده، ويصبح وجود الباحث شيئاً طبيعياً بالنسبة لهم وبالتالى يبدؤون التصرف بطريقة طبيعية، وعلى الباحث حينئذ أن يستمر فى كسب ثقة الأفراد وبناء علاقات إنسانية معهم طوال فترة المشاركة، وبعد ذلك تأتي عملية الملاحظة حيث يقوم الباحث الإثنوجرافى بملاحظة الأفراد أثناء قيامهم بأنشطتهم والمواقف والأحداث ومختلف التفاصيل الخاصة بحياة الأفراد موضع الدراسة.

والملاحظة بالمشاركة تتميز بالمزايا التالية:

- تحدث الملاحظة في الموقع، ولعل أهم متطلبات البحث الاثنوجرافي تواجد الباحث في الميدان لمدة طويلة، مما يسمح له بوصف واستقصاء العمليات، وملاحظة التغيرات في الموقف موضوع الدراسة.
- جمع البيانات المطول: يستمر الباحث في جمع البيانات حتى يشعر أنه وصل إلى حد الإشباع وأن هدفه قد تحقق؛ فمثلاً قد يستغرق تجميع البيانات حول برنامج مدرسة صيفية ثلاثة أسابيع، بينما قد تصل إلى عشرة أسابيع إذا كان البرنامج حول دراسات في الطب النفسي مثلاً.
- التوصل إلى الحقائق: تساعد ملاحظة الباحث في التوصل إلى ما يدركه الناس من خلال أفعالهم ومشاعرهم ومعتقداتهم، وقد يتوصل إلى ذلك من خلال إدراكات الناس اللفظية وغير اللفظية وتعبيراتهم الجسمية واللفظية، إذ قد تقود كل من تعابير الوجه ونبرة الصوت وحركات الجسم وغيرها من التفاعلات الاجتماعية غير الملحوظة إلى المعنى الدقيق للغة.
- التحقق من الملاحظات الميدانية: حيث يسعى الباحث الاثنوجرافي إلى معرفة وجهات نظر مختلفة للأحداث والأشياء من قبل المشاركين المختلفين وذلك من أجل الدقة والمصداقية.

٢- المقابلة الاثنوجرافية:

تعتبر المقابلة من الطرق الرئيسة لجمع المعلومات في البحث النوعي؛ فعن طريقها يستطيع الباحث أن يتعرف على أفكار ومشاعر ووجهات نظر الآخرين. كما تمكن هذه الطريقة الباحث من إعادة بناء الأحداث الاجتماعية التي لم تلاحظ مباشرة. (Hancock, Beverley, 1998, 14)

وقد تستخدم متزامنة مع الملاحظة المشاركة وغيرها من الأدوات التى يحددها الباحث لجمع مزيد من المعلومات.

ولا يمكن الفصل بين الملاحظة المشاركة كأداة لجمع البيانات وبين المقابلات الكيفية، حيث يحاول الباحث تأكيد صحة الملاحظات التى يجمعها عن طريق المقابلات حول نفس الأفراد والمواقف والموضوعات.

وتعرف المقابلات الكيفية بأنها محادثة ذات غرض معين تتم عادة بين فردين أو مجموعة من الأفراد، ويتم توجيهها من خلال الباحث الإثنوجرافي، وتهدف إلى تعلم ورؤية العالم من خلال عيون الأفراد المراد بحثهم، والتقرب إليهم وفهم المعانى والألفاظ الخاصة بهم، والكيفية التى ينظمون بها ممارستهم اليومية (Anzul, 1991, 58).

وتعتبر المقابلات الكيفية وسيلة مهمة للوصول إلى المعلومات الخاصة والعميقة، والتى لا يمكن للباحث اكتشافها أو ملاحظتها بطريقة مباشرة، فلا يمكن ملاحظة المشاعر والأفكار والدوافع، ومن خلال المقابلات الكيفية يمكن التعرف على السيرة الذاتية للأشخاص، والتعرف على بعض الأحداث التاريخية أو الظروف والملابسات الخاصة بنشأة المدرسة أو أى مؤسسة أو منظمة يجري حولها بحثًا إثنوجرافياً، ويمكن من خلالها الحصول على التفاصيل الخاصة لحدث ما لم يشاهده الباحث بنفسه. (Burgess, 1995, 106)

ويستخدم الباحث أثناء المقابلة دليلا إرشاديا، يحتوي على مجموعة من الأسئلة والمواضيع العامة التى يهدف الباحث لتوضيحها أثناء المقابلة، ويضمن الدليل الاستخدام الجيد لوقت المقابلة وتغطية الموضوعات التى يريدها الباحث، فهو يذكر الباحث بالموضوعات والنقاط المهمة التى يريد الكشف عنها والتعرف عليها، وفى الوقت نفسه يتميز الدليل الإرشادي بالمرونة؛ حيث يمكن تعديله بمرور الوقت عندما تستجد مجموعة من المواقف والأفكار. (Hoepfl, 1997, 9- 10)

وهناك ثلاثة أنواع من المقابلات الكيفية:

١- المقابلة البنائية: Structed interview

وينفذ ذلك النوع من المقابلات بعيداً عن الأحداث والمواقف، أى لا يشترط رؤية الباحث للحدث بنفسه، ويتم التخطيط المسبق لها، وتتميز بأنها تتيح الفرصة لتناول الموضوعات والأفكار بمزيد من العمق والتفاصيل وتستخدم فى المراحل الأخيرة من إنهاء البحث.

ويستخدم ذلك النوع من المقابلات عندما يكون هناك فروض محددة على الباحث التأكد منها، ويتم تحديد إجراءاتها مسبقاً، ويبدأ الباحث من خلالها فى توضيح بعض المعلومات الديموجرافية مثل

(الاسم – السن – الجنس – تاريخ الميلاد – مكان الميلاد) وكذلك الكشف عن بعض الحقائق مثل الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد موضع الدراسة مثل(المهنة ، ظروف المعيشة ، المستوى التعليمى للشخص)، وعلى الباحث أن يتحقق من صحة تلك المعلومات التى يدلي بها الأفراد، وأن يحدد مسبقاً الأسئلة الخاصة بالمقابلة ، وهناك بعض الباحثين الذين يقضون بعض الوقت فى الملاحظة حتى يستطيعوا تحديد نوعية الأسئلة المهمة. (Pearson, 2001, 97)

٢- المقابلة غير البنائية Unstructed interview

ينبثق ذلك النوع من المقابلات الكيفية نتيجة لحدوث موقف أو حدث معين، فهو بمثابة نهاية ذيلية للموقف، ويحدث هذا النوع دون تخطيط وتحضير مسبق له، ويكون على هيئة محادثة أكثر من كونه مقابلة تتضمن سؤالا وإجابة محددة له، فهو يهدف إلى الاستفسار عن شيء والتحقق منه فور حدوثه (Reilly, 2004, 116).

وتسمح المقابلة غير البنائية للمشاركين بتوليد الموضوعات والأفكار التى يمكن للباحث الإثنوجرافى أن يتحقق منها، وتجعل الشخص المراد مقابلته فعالاً ونشيطاً كما أنها توازن بين الاهتمامات الخاصة بالأفراد المراد مقابلتهم والاهتمامات الخاصة بالباحث، كما تكمن أهميتها فى أنها تساعد فى الوصول إلى جوهر المعلومات من أجل فهم قضية معينة. (Sanger, 1996, 63)

ويشبه ذلك النوع من المقابلات مقابلة عرضية ذات أسئلة مفتوحة، ولا تتضمن نوعا محددا أو سلسلة من الأسئلة، ويتيح ذلك النوع من المقابلات غير الرسمية نوعًا من المواقف الطبيعية لجمع المعلومات بطريقة تلقائية طبيعية.

٣- المقابلة شبه البنائية Semi Structed Interview

وهي تحتوي على عناصر من النوعين السابقين، ويوجه الباحث من خلال المقابلة مجموعة من الأسئلة أو الموضوعات التى يريد الكشف عنها، ولا يتبع الباحث هنا نموذجًا صارمًا من الأسئلة، حيث يغطي الموضوعات التى يهتم بها قدر الإمكان، وفى الوقت نفسه قد تستجد بعض الموضوعات أثناء المقابلة فيقوم بالتحقق منها. (Pearson, 2002, 97)

٣- مراجعة وتحليل الوثائق

إن جمع الوثائق والعينات المادية وغير المادية طريقة غير تفاعلية في الحصول على البيانات، ويسعى الباحث باستخدام هذه الطريقة إلى الحصول على معلومات من الوثائق والعينات المادية وغير المادية.

فالوثائق والملفات والعينات المادية وغير المادية تمثل انعكاسًا للمعتقدات والسلوكيات التي تشكل الثقافة، فهي تصف الخبرات الإنسانية والأفعال والقيم، فالأثنوجرافي في هذا المجال يتبنى أساليب المؤرخين في تحليل الوثائق، وأساليب علماء الآثار في دراستهم الأشياء التي أوجدها القدماء، ومن هذه الوثائق: :(فريد كامل أبو زينة وآخرون ٢٠٠٧، ١٣٠-١٣٢)، (ولاء محمود عبد الله، ٢٠٠٧، ١٨٣)

- **الوثائق الشخصية**: وتتضمن المفكرات والرسائل الشخصية والسجلات القصصية.
- **الوثائق الرسمية:** تأخذ الوثائق الرسمية أشكالاً متعددة منها وثائق المؤتمرات ونصوص الاجتماعات وأوراق العمل ومسودات المخططات. وتعتبر هذه وثائق غير رسمية تبرز وجهة نظر داخلية صادرة عن مؤسسة ما لوصف الوظائف والقيم، ويمكن أن تزود الباحث بإشارات حول أسلوب الإدارة والقيادة.
- **الأشياء**: وهي عبارة عن رموز وكيانات محسوسة، تكشف عن العمليات الاجتماعية والمعاني والقيم، ومن الأمثلة عليها: المجسمات والكؤوس الرياضية والشهادات والملصقات والشعارات الرسمية.
- **مؤشرات القدم والتلف:** تشير هذه المقاييس إلى درجة تآكل بعض المرافق العامة. في المدرسة مثلاً، فتآكل الممرات المدرسية والقاعات والساحات وغيرها يعتبر مؤشرًا على القدم والتلف، ولها معان محددة لدى الباحث.

خامساً: خطوات بناء المنهج الاثنوجرافي(*)

يمكن عرض الخطوات التي تشكل منهج البحث الإثنوجرافي كما يلي:

- **اختيار مشروع إثنوجرافي:** ويختلف مجال هذه المشروعات اختلافا كبيراً عن دراسة مجتمع كامل معقد، إلى موقف اجتماعي محدود أو مؤسسة صغيرة، مثل أحد النواحي الرياضية أو ملعب المدرسة. وللموقف الاجتماعي دائماً ثلاثة مكونات: المكان والممثلون والأنشطة

(*) (Reilly,2004, 124), (Baker, 1999, 257- 258), (Cohen& Others, 1997, 12-14), (Hoepfl, 2000,142) (Wilson, 1998, 6-8) (Crowl, 1996, 218-220) (رجاء أبو علام، ٢٠٠١، ٣٥٠-٣٥١)

- **طرح أسئلة اثنوجرافية:** يحتاج الباحث إلى أن يكون لديه مجموعة من الأسئلة لترشده فيما يسمع أو يرى وفي جمع البيانات.
- **جمع البيانات الإثنوجرافية:** يقوم الباحث بدراسة ميدانية لمعرفة الأنشطة التي يقوم بها الناس والخصائص الفيزيائية للمكان وكيف يكون شعور الفرد عندما يكون جزءًا من الموقف. وهنا يستخدم الباحث ملاحظة المشارك والمقابلات المتعمقة، وغير ذلك من أساليب جمع البيانات.
- **عمل سجل إثنوجرافي:** وتتضمن هذه الخطوة أخذ ملاحظات ورؤوس أقلام وصور ميدانية وعمل الخرائط واستخدام أية وسائل أخرى لتسجيل الملاحظات.
- **تحليل البيانات الاثنوجرافية:** يتبع الدراسة الميدانية دائماً تحليل البيانات، مما يؤدي بالتالي إلى أسئلة جديدة وفرضيات جديدة، ويتبع ذلك مزيد من جمع البيانات، وتحليل أكثر لها، وتستمر هذه الدورة حتى يكتمل المشروع.
- **كتابة التقرير الإثنوجرافي:** يجب أن يكتب الباحث التقرير الإثنوجرافي بحيث يجلب الثقافة موضوع المشروع إلى الحياة أمام القارئ ليشعره بأنه يفهم الناس وطريقتهم في الحياة. ويمكن للباحث تبسيط هذا العمل بأن يبدأ الكتابة في وقت مبكر أثناء جمع البيانات بدلاً من الانتظار إلى النهاية. ومما يسهل مهمة الكتابة أيضاً أن يقرأ الباحث التقارير الإثنوجرافية الأخرى الجيدة قبل أن يبدأ في كتابة تقريره.

أما (كمال زيتون ،٢٠٠٦، ١٢٥) فذكر أن سبرادلي spradley 1980 قد قدم تتابعاً من اثنتي عشرة مرحلة لإجراء البحث الإثنوجرافي، ويمكن بلورتها في خمس خطوات على النحو الآتي:

- **تحديد المقصد من التصميم ونوعه وربط المقصد بمشكلة البحث:** تعد هذه الخطوة أول خطوات إجراء البحث ومن أهمها، وتتمثل في تحديد السبب الذي يدفع الباحث للقيام بالدراسة التي تحدد شكل التصميم الذي يخطط لاستخدامه، وكيف ارتبط مقصده بمشكلة البحث.
- **ففي البحث الإثنوجرافي الواقعي:** يكون التركيز منصبًا على فهم الجماعة ذات الثقافة المشتركة.
- **مناقشة الاعتبارات المحددة والاستحسان:** تتبع نفس الإجراء للأنماط الثلاثة للتصميم حيث يكون الباحث بحاجة لتلقي الاستحسان من الجهة المؤسساتية المراجعة. كما أنه

بحاجة لتحديد نوع البيئات المستهدفة المتاحة، والتي تجيب بالشكل الأمثل عن تساؤلات البحث والمشاركين في الدراسة.

- **استخدام الإجراءات المناسبة لتجميع البيانات:** تتمتع التصميمات الثلاثة للبحث الإثنوجرافي بملامح مشتركة مع التأكيد على تجميع البيانات بشكل واسع، واستخدام إجراءات متعددة لتجميع البيانات.
- **ففي البحث الواقعي:** يكون التركيز على تدوين الملاحظات، وملاحظة المشهد الثقافي؛ لذلك تكون المقابلات الشخصية والحقائق الفنية كالرسم والتخيل والترميز ذات أهمية كأشكال للبيانات.
- **تحليل البيانات وتفسيرها في ظل التصميم:** ينخرط الباحث – في كل التصميمات الإثنوجرافية – في العملية العامة للقيام بالوصف والتحليل لبيانات الموضوعات، والقيام بتفسير معنى المعلومات. وتلك هي الإجراءات التحليلية والتفسيرية للبيانات المتواجدة في الدراسات الكيفية.
- **كتابة التقرير بشكل يتماشى مع التصميم:** يتم كتابة البحث الإثنوجرافي الواقعي كتقرير موضوعي للمعلومات المتعلقة بالجماعة ذات الثقافة المشتركة. فرؤى الباحث الشخصية وتحيزه موجودان في ظل تلك الخلفية. ولا بد أن تشير المناقشة في نهاية الدراسة إلى مدى إسهام البحث في المعرفة المتعلقة بالموضوع الثقافي القائم على فهم النماذج المشتركة من السلوك أو التفكير أو اللغة للجماعة ذات الثقافة المشتركة.

سادساً: المنهج الإثنوجرافى والأنثروبولوجيا

يخلط البعض بين المنهج الإثنوجرافى والأنثروبولوجيا، حيث يعتقد البعض أنهما يعبران عن منهج واحد أو مجال واحد، فيرى البعض أن الإثنوجرافيا منهج أو طريقة من طرق المنهج العلمي، أما الأنثروبولوجيا فهى علم له مجالاته ومراحله الخاصة به، وأن المنهج الإثنوجرافى هو من أدوات المنهج الأنثروبولوجى فى التعامل مع قضاياه ومشكلاته، وبالتالى فالإثنوجرافيا والأنثروبولوجيا وجهان لعملة واحدة، فعندما يتم التحدث عن الطريقة المستخدمة فى دراسة الجماعات والثقافات، فإننا نعني بها الطريقة الإثنوجرافية، أما عندما نتحدث عن البحث الذى يتعرض لدراسة هذه الجماعات والثقافات فإننا نعنى المنهج الأنثروبولوجى. (على الشخيبى، ٢٠٠٢، ١٦٣).

أي أن الإثنوجرافيا هى إحدى الأدوات الخاصة بالمنهج الأنثروبولوجى، كما أن المنهج الوضعى له أدوات مثل دراسة الحالة*، والدراسة المسحية وتحليل المضمون، فهناك فرق بين المنهج بمعناه الواسع أي التطبيق المنظم لخطوات علمية معينة، وأن له أهدافا محددة وأن هناك طرائق عديدة يمكن من خلالها حل المشكلات والقضايا لتحقيق الأهداف والأغراض العامة للمنهج.

ووجهة النظر تلك تؤكد أن الطريقة الإثنوجرافية ـ وإن رجعت جذورها التاريخية إلى الأنثروبولوجيا ـ إلا أنها استقلت عنها ليصبح لها طرقها واستخداماتها الخاصة بها، والتى تختلف عن استخدامات الأنثروبولوجيا وتسمى تلك الإثنوجرافيا التى ارتبطت بالأنثروبولوجيا الإثنوجرافيا التقليدية. (محمد الطيب، ١٩٩٧، ٤٢٠).

وتتضمن الإثنوجرافيا التقليدية وصفا تفصيليا كليا لثقافة ما، تكون خارج نطاق المجتمع الأصلي الخاص الباحث، مثل القبائل والثقافات الخاصة بالجماعات الغريبة والمختلفة عن المجتمع الأصلي، أما الإثنوجرافيا الحديثة فتهتم بالجماعات المألوفة والمتواجدة داخل المجتمع الأصلي للباحث، فهى تهتم بالأحداث الروتينية والعادية وتهتم بصياغة الفروض من خلال الموقع الطبيعي للأحداث (Gilbert,1992, 3 -6).

إن الإثنوجرافيا نشاط بحثي مشبع بالفلسفة والنظرية، وتساعد النظرية والإطار النظري الباحث في توليد أسئلة استرشادية أثناء التحقيق الإثنوجرافي حول الكيفية التى تعمل بها الثقافة داخل جماعة ما، فمن خلال النظرية تكتسب المعلومات الإثنوجرافية معناها، وقد ارتبطت الإثنوجرافيا فى تطورها بنظريات وأنشطة تنظيرية واسعة مما أدى إلى وجود استعمالات وأنواع مختلفة لها وهي كالآتى: (حسن البيلاوى،١٩٩٣، ١٥-١٦)

أ) **الإثنوجرافيا التقليدية:** والتى ترتبط بنظريات الثقافة فى الأنثروبولوجى أو بالنظريات البنيوية الوظيفية فى علم الاجتماع أو بهما معاً، وارتباط الإثنوجرافيا بهذا النمط من التنظير الأنثروبولوجى أو السيسيولوجى قد ربط البحث الكيفى بمفاهيم ومبادئ تفسيرية مسبقة مشتقة من هذه النظريات، مثل مفاهيم المكانة والدور والمعايير، ومبادئ مثل الوظيفية والتنوع والتكامل والتبادل. (حسن البيلاوى، ١٩٩٣، ١٥) (محمد سكران، ٢٠١٠، ١٨٨)

ب) **الإثنوجرافيا التأويلية أو الرمزية:** وهي التى تتم فى إطار علم الاجتماع الرمزي باتجاهاته المختلفة، والتي تتمثل في: التفاعلية الرمزية والفينومينولوجى والإثنوميثودولوجى، وهي اتجاهات تعارض الاتجاه الكمي الإحصائي، وتتجه إلى دراسة الحياة اليومية وعلاقات التفاعل بين الأفراد من وجهة نظر الأفراد أنفسهم (محمود حسن الأستاذ، ٢٠١٣، ٩١). وهي الاتجاهات

التي تسعى إلى فهم الظاهرة الاجتماعية على المستوى الصغير، ومستوى مفردات ووقائع الحياة اليومية للحالة المدروسة، وهذه الاتجاهات على اختلافها ترفض الدخول إلى الميدان بأفكار أو مفاهيم مسبقة، وإنما تشتق هذه المبادئ والمفاهيم من داخل الواقع الاجتماعي، لا من خارجه، وتكتفي بوصف ما يحدث في الميدان دون اهتمام بالإجابة عن السؤال"لماذا يحدث ما يتم وصفه؟". (ولاء محمود عبد الله ،٢٠٠٧، ١٦٥)، (محمد سكران، ٢٠١٠، ١٨٩).

ج) **الإثنوجرافيا النقدية:** هي دراسة الخبرة الإنسانية من الداخل، من خلال معايشة الباحث للحدث والانخراط فيه، والتي تنطلق من منظور نقدي، يهتم بدراسة الظواهر الصغيرة على مستوى وقائع الحياة اليومية ولكن في إطار الظواهر الكبيرة في المجتمع، ومن ثم تصبح الإثنوجرافيا النقدية محاولة للربط بين المنظور التأويلي الذي يهتم بدراسة الظواهر على المستوى الصغير، وبين المنظور النقدي الذي يهتم بدراسة الظواهر على المستوى الكبير (محمد سكران، ٢٠١٠، ١٨٩-١٩٠)، (حسن البيلاوي، ١٩٩٣، ١٦).

للمزيد من الدراسات حول دراسة الحالة يمكن الرجوع إلى:

(مختار عثمان الصديق، ٢٠٠٤، ٩٧)، (جودت عزت عطوى، ٢٠٠٠، ١٢٨) (cohen (Creswela , 1998 , 61) (Gall & Borg, 2003 , 436) & manion , 1994 , 106) (Merriam , 1998 , 16) (Yin, 2003 , 13) (ايمن عبد المجيد، وابها السقا، ٢٠١٤، ٥٧) (Robert K Yin,2009,14) (أحمد بدر،١٩٩٦، ٣٠٤) (عبد الباسط محمد حسن،١٩٩٠، ٣٦٣) (Schutt R.1996,30) (محمد خليل عباس واخرون،٢٠٠٧، ٤٦)

المحور الرابع: معايير تقييم البحوث النوعية

عند بروز صيغ بديلة، ومناهج بحث بديلة للبحث العلمي خصوصا في العقدين الماضيين والاعتراف بشرعية البحوث النوعية بأنواعها على أنها بحوث علمية، بدأت الحاجة الملحة إلى تحديد معايير لتقييم تلك البحوث، وبدأت التساؤلات حول مدى مناسبة المفهومات التقليدية كمعايير لتقييم جودة البحث النوعي، ويرى البعض عدم مناسبة المعايير التقليدية لتقييم البحث النوعي، لاختلاف الصيغ والأسس لكل من البحث الكمي والبحث النوعي.

أولاً: إشكالية الموضوعية في البحوث النوعية

عمد النموذج الوضعي في العلوم الاجتماعية إلى ترسيخ تصور لموضوعية المعرفة، يستند إلى المعطيات الإحصائية التي توفرها البحوث الكمية ، استناداً إلى أن المعالجة الكمية للبيانات

والمعطيات تمنحها طابعاً موضوعياً ، وتجعلها بمنأى عن ذاتية الباحث ، كما تدل الموضوعية في المنهج الكمي على إمكانية الوصول إلى النتائج ذاتها إذا أعيد استخدام أدوات البحث والطريقة ذاتها ، لكن مثل هذه الرؤية تتجاهل أن المنهج الكيفي لا يحصر الموضوعية في الناحية الإجرائية ، بل يدركها ضمن رؤية فكرية أعمق ، ترى أن الموضوعية كمفهوم ليست سوى تعبير عن توافق اجتماعي ، أي أن ما هو موضوعي يتناسب مع ما نتفق على اعتباره أنه كذلك في سياق معين ، أي إمكانية أن يتغير هذا الاتفاق بتغير السياقات (نصر الدين لعياضي ، ٢٠١٠ ، ١٣-١٤) .

ومن ناحية أخرى لقد أثبت البحث الكيفي خطأ الاعتقاد بأن البحث الاجتماعي بشكل عام لا يعد موضوعيا إلا إذا اتبع إجراءات تحقيق الموضوعية في مناهج العلوم الطبيعية، وبأن نموذج العلم الطبيعي هو الذي يحدد علمية الدراسة في المجال الاجتماعي.

كما يذكر (خالد احمد مصطفى حجر، ٢٠٠٣، ١٤٠ -١٤٢) أنه آن الآوان لكي تتحرر العلوم الاجتماعية من هذه العقدة، وأن يتم تحليل العديد من المفاهيم المستخدمة في البحث الاجتماعي والمستمدة من مجال البحث في العلوم الطبيعية كالموضوعية والتنبؤ والتحكم والقانون والحتمية وغيرها – بأسلوب متعمق يؤدي في النهاية إلى استيعابها في إطار الواقع الاجتماعي المدروس، حتى يتم فهمه وتفسيره وتغييره بشكل فعال .... مع ملاحظة أنه من الضروري دراسة التطور التاريخي للظاهرة الاجتماعية ليس فقط للتعرف على التغير الذي حدث فى شكلها وبنائها، وإنما للتعرف على ما حدث لتصورها فى وعي الأفراد من تغير، وبيان طبيعة العلاقة بين شكل الظاهرة والجوهر الذي تقوم عليه، ولا بد للباحث الكيفى أن يتمتع بصفة الملاحظ المشارك من ناحية والمراجعة للإطار النظري المستخدم من ناحية أخرى أي أن يستخدم ما يسمى بأسلوب الممارسة التأملية.

ثانياً : إشكالية الصدق فى البحوث النوعية

بصفة عامة، يشير الصدق في البحوث الكيفية، على غرار البحوث الكمية إلى درجة استقلالية الإجابات عن الظروف العرضية للبحث، ولكنه قد يتأتى كذلك من أمانة وعمق وثراء وسعة البيانات وتعددية المصادر، وبالرغم من أن مفهوم الصدق ارتبط فى أذهان الباحثين بالبحث الكمى فإن هذا المفهوم فى البحث الكيفى يشير عادة إلى أن البحث يتمتع بالواقعية والمنطقية والثقة ، ويعتمد صدق البحوث الكيفية عموما على حل مشاكلها المتعلقة بالتصميمين الداخلي والخارجي، فالصدق يرتبط أصلاً، باحتمال أن يعيد باحثون آخرون بناء استراتيجيات تحليلية أصلية . ومن ثم

يرتبط الصدق بقابلية تكرار التجارب والاكتشافات العلمية. ومع ذلك، فإن استعمال الصدق في التصميمات الكيفية يكون معقداً من حيث مؤشر قابلية التكرار، لأن إجراء الدراسة يكون في بيئة طبيعية فريدة عادة، ولا يمكن إعادة إنتاج بعض الحالات المدروسة نظراً لدينامية (حركية) السلوك البشري، ولذلك تكون الدراسات الكيفية، على العموم، معرضة بشكل خاص لمشكلة صعوبة، أو استحالة تكرارها. (زهراء عيسى الزيرة ،١٩٩٦، ٥٦).

ومع ذلك، يمكن للباحث، وعلى طول عملية بحثه الإجرائية، أن يلتزم بتطبيق التوجيهات الرئيسة في مجال البحوث الكيفية بغية زيادة صدق النتائج.

وهناك العديد من المحاولات الرامية إلى تطوير استخدام معيار الصدق فى البحث الكيفي، منها إسهامات(ماكسيول) الذي يشير إلى (Maxwell , J. A.: 1992, 279) ثلاثة أنواع من الصدق يعتبرها الأهم فى مجال البحث الكيفى، وهى: (الصدق الوصفى- الصدق التأويلى أو التفسيرى - الصدق النظرى) ، بمعنى أي إلى أي مدى يمكن للباحث تعميم عرض حال (وصف) أو سياق معين أو مفردات. وهو ما عبر عنه أون جيبيوزى (Onwuegbuzie, , A.J. & Leech, N.L.: 2005,265) بقابلية التحويل والمقارنة، ولتمييزه أكثر عن التعميم الكمي أشارا إلى أنه ليس من صلاحية الباحث تقديم مقياس للتعميم والتحويل، بل تقديم بيانات غنية بما فيه الكفاية لقارئها أو مستعمليها حتى يحدد هو بنفسه أبعاد التحويل الممكنة . كما أن هذا يعدّ نوعاً من أنواع الصدق الخارجي، وهو يتضمن آثاراً مختارة، وسياقية، وتاريخية (ظروف فريدة وغير قابلة للمقارنة).

فضلاً عن نوعي الصدق التقليديين الآخرين وهما الصدق الداخلى أى المقدرة على استجلاء العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة والصدق الخارجى أي المقدرة على التعميم خارج نطاق مجالات البحث المحددة، ولا يعني هذا تجاهل أن إحدى المهددات المحتملة للصدق فى البحث الكيفى تتمثل فى إمكانية عدم حيادية الباحث أحياناً خاصة وأن المنهج الكيفى أقل تأطيراً، مقارنة بالمنهج الكمي وأنه يمكن من الباحث أن يتوصل إلى ما يريده هو من حقائق، لاسيما إذا لجأ إلى تدوين ملاحظاته بطريقة انتقائية، لكن مثل هذا التهديد يمكن تجاوزه بما يعرف باستراتيجية التأمل، والهادفة إلى البحث الذاتي عن مواطن الانحياز المحتمل؛ بقصد السيطرة عليها ويضاف إلى ذلك استراتيجية تعيين الحالات السالبة والتى تستخدم فى البحث الكيفى لتقليل تأثير الميول الشخصية على البحث، ويتم هذا بالبحث المقصود عن الحالات التى لا تتفق مع تطلعات الباحثين وتفسيراتهم لما يقومون بدراسته مما يؤدي إلى تدعيم مستوى صدق النتائج التى يتم التوصل إليها (خالد احمد مصطفى حجر ، ٢٠٠٣ ، ١٤٢ -١٤٣)

وكانت هناك ردود فعل مختلفة للاتهامات الموجهة لمصداقية البحث النوعي، فبعض الدارسات كانت تجادل أن البحوث النوعية لها إجراءاتها الخاصة التى تحقق بها الصدق، والتى تختلف عن الإجراءات المتبعة فى البحث الكمي، ولكنها لا تبتعد عنه كثيراً. أما كيفية تحقيق مفهوم الصدق فى البحوث النوعية فكانت بطيئة التطور، فمثلاً وضح ماكسويل (Maxwell , J. 1992, 279) واتفق معه كل من (أيزنهارت وهاو , Eisenhart, A., & Howe. K., 1992) (643 أهمية مفهوم الصدق وشرعيته، ولكنهم اقترحوا وجود مفهوم مركزي (معيارى) موحد للصدق بدلاً من المهفوم الشخصي يتعلق بكل دراسة نوعية على حدة ، ويقترح ميشلر (Mishler, 1990,415) . نموذجًا للصدق الذي يعتمد على أمثلة من الممارسات العلمية بدلاً من القوانين أو التصنيفات المجردة، كخلفية للتحقق من الموثوقية فى الملاحظة والتفسير والتعميم. خصوصاً بعد تصريحات بعض الدراسات أنه: لا يمكن التحقق من اختبارات الصدق باتباع الإجراءات، ولكنها تعتمد أساسًا على حكم الباحث؛ فالصدق ليس بضاعة تشترى باتباع الإجراءات. ولكن الصدق مثل الشخصية والكمال والنوعية، يجب أن يقيم حسب الغرض والظروف المحيطة بالبحث.

ثالثاً: اشكالية الثبات في البحوث النوعية

تعتمد درجة الثبات على تقنيات جمع وتحليل البيانات . وهو ما تؤكده المؤشرات الآتية:

- التعايش مع المبحوثين وتمديد عملية جمع البيانات لفترات طويلة لإتاحة الفرصة لإجراء تحليلات ومقارنات مستمرة لهذه البيانات.
- تكييف المقابلات المنجزة، بعدّها واحدة من المصادر الرئيسة للبيانات، مع مختلف فئات الفاعلين الاجتماعيين.
- يجب القيام بالملاحظة بالمشاركة، كمصدر أولي لبيانات الباحث، في البيئات الطبيعية التي تعكس واقع تجارب حياة المشاركين بمزيد من الدقة (Howe. K.,1992, 644)
- في جميع مراحل نشاطه، يخضِع الباحث نفسه للرصد الذاتي (الرقابة الذاتية) ، من خلال عمليتي التشكيك وإعادة التقييم المستمرين .وتسمى هذه العملية عند" غوتز ولوكونت (الذاتية المنضبطة) وقد يخفف ذلك من أثر ضعف الرصد الخارجي والضبط الإحصائي القبلي، الآني والبعدي المستعمل في البحوث الكمية. وفي الوقت نفسه، يمكن ان نحصل على

تقديرات الثبات في البحوث الكيفية بواسطة وسائل مختلفة، مثل التقاطع الثلاثي او المتعدد المعلوماتي وتحكيم باحثين آخرين ويعد التقاطع المتعدد على وجه الخصوص عملية تجمع بين منهجيات مختلفة في دراسة الظاهرة نفسها . فهي تستهدف زيادة الثبات باستخدامها عمليات مركبة، واستراتيجيات مختلطة وتقاطع معلوماتي من مصادر مختلفة من البيانات وأدوات، ووثائق أو مزيج منها كلها. ولذلك نجد من الشائع استعمال الدراسات الكيفية للمنهج البيوجرافي وتقنية السير الذاتية المتعددة في شكل استبيان تعتمد فيه، عند اختيار المبحوثين، على مقاييس العينة التمثيلية باستعمال مثلا نمطية تصنيفية للمبحوثين انطلاقاً من متغيرات محددة مسبقًا، أو على تقنية الإشباع من كثرة الحالات المدروسة. (زهراء عيسى الزيرة ،١٩٩٦، ٥٦-٥٧).

المحور الخامس: معالم الرؤية البحثية التجديدية الهادفة التي تتبنى استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي.

أولاً: فلسفة الرؤية البحثية التجديدية

تستند الرؤية البحثية التجديدية على فلسفة مؤداها أن البحوث النوعية تعد ذات فاعلية مهمة في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي، من خلال ما تتيحه للباحث من الانطلاق في دراساته بعيداً عن القيود التنظيرية والأدواتية المنبثقة أصلاً من مجتمعات غربية لا تتوافق وطبيعة مجتمعاتنا العربية. حيث يذهب الباحث إلى الحقل دون توجهات مسبقة مما يتيح له دراسة المشكلة في بيئتها وحسب طبيعتها، مما يمكنه من التعرف عليها بشكل أدق ومعالجتها وفق ظروفها البيئية والمجتمعية، مما يتيح للباحث التربوي اكتشاف النظريات الملائمة لمجتمعه، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال معالم هذه الرؤية البحثية التجديدية.

ثانياً: ركائز الرؤية البحثية التجديدية

تسليط الضوء على أحد مناهج البحث العلمي التي لم تحظ بالعناية والاهتمام والتطبيق الميداني العملي في مجال البحوث التربوية، وكذلك مساعدة الباحثين التربويين على اكتشاف خيارات بحثية ومنهجية جديدة.

الحاجة إلى طرائق بحث مختلفة، يكون التركيز فيها على فهم الظواهر التربوية من منظور داخلي، يرتبط بطريقة تعايش الأفراد المشاركين مهنيا في مؤسسة معينة، ومن دوافع اجتماعية محددة.

أن البحث النوعي لا يكتفي بوصف الأشياء كما هي، بل يسعى للحصول على فهم أعمق للصورة الكبرى التي يكون فيها ذلك الشيء، ويسعى إلى معرفة كيف وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، وكيف يشعر الناس المحيطون بها، وما آراؤهم حولها وما المعاني التي يحملونها عنها.

ثالثاً: آليات تحقيق الرؤية البحثية التجديدية

بعد التعرض لفلسفة الرؤية البحثية التجديدية وأهم ركائزها، يمكن وضع مجموعة من الآليات التي تساعدنا على تحقيق هذه الفلسفة واتباع الركائز، بما يحقق الهدف العام للبحث، ومن ثم التعرف على آليات استخدام البحث النوعي في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

- معرفة مدى التراكم الكمي الهائل الحاصل في حجم الدراسات المنجزة حول إشكالية المنهج، وعدم مرافقة هذا التراكم الكمي العددي وعياً نظرياً بعمق إشكالية المنهج خاصة في مجال البحث التربوي. (صلاح السيد عبده رمضان، ٢٠١٦).
- التوسع في إجراء البحوث والدراسات البينية التي تقوم على أكثر من تخصص(اتساقًا مع دعوات العصر، وحدة المعرفة -عالم المعرفة - مجتمع المعرفة - الاعتماد المتبادل) والتخفيف من حدة الفصل المتعمد بين التخصصات المختلفة -حيث إن الفصل التام أمر- فضلاً عن أنه عسير- لا يتسق مع منطق الواقع وحركة الحياة ، ولاسيما أن كثيراً من القضايا متشابكة الأبعاد وتزخر بكثير من المتغيرات التي من الصعب حصرها في مجال تخصص واحد، وأن توجه البحوث والدراسات التربوية إلى الاحتياجات المستقبلية(البحوث المستقبلية) وأنماط التغير المتوقعة والمستهدفة في المجتمع، فلقد أصبحت البحوث وسيلة لاستجلاء الحاضر والتخطيط لاستشراف المستقبل، وذلك في إطار العنصر الحاكم في أية عملية تعليمية أو تربوية أخلاقيات البحث العلمي وثقافتنا العربية الإسلامية(جمال الدهشان، ٢٠١٤، ٦٣).
- لفت نظر الطلاب إلى وجود رؤى أخرى يمكن من خلالها التعرف على المشكلات البحثية المختلفة، وذلك من خلال غرس احترام البحث النوعي عن طريق التعريف بماهيته وكيفية نشوئه وتطوره، والتساؤلات البحثية الخاصة به، وبالدور العلمي الذي يؤديه اليوم في

المجالات البحثية الإنسانية والاجتماعية والثقافية المختلفة. ومعرفة مميزاته وسلبياته وطبيعة التساؤلات البحثية التي يستطيع الإجابة عنها والفروق الأدائية والمنهجية مقارنة بالبحث الكمي الإمبريقي.

- فهم السلوك الاجتماعي والإنساني من منظور داخلي، يرتبط بطريقة تعايش الأفراد المشاركين مهنياً في مؤسسة معينة، ومن دوافع اجتماعية محددة، حيث إن السلوك الإنساني مرتبط بالسياق الذي حدث فيه، والواقع الاجتماعي الذي يعايشه، وهو ما يوفره تطبيق استراتيجيات ومنهجيات البحث النوعي.
- التوصل إلى النتائج ليس من خلال الإجراءات الإحصائية أو الكمية المتعارف عليها كما تفعل البحوث الكمية، ولكن من خلال الفهم الدقيق للظاهرة والتعمق فيها من خلال الملاحظة المشاركة المقابلات وغيرها من الطرائق التى تتيح للباحث رؤية الظاهرة عن قرب ومن مواقع الأحداث، فالبحوث الإحصائية لا تتعرف إلا على الأجزاء السطحية الظاهرة ولا تستطيع أن تتعرف على تأثير التفاعلات العديدة التى تحدث داخل العالم الاجتماعى.
- الاهتمام بدراسة الأحداث الروتينية داخل حياة الأفراد والجماعات، فالأشخاص موضع الدراسة لا يكونون على دراية كاملة بحقيقة واقعهم الذى يعيشونه، ويمارسون الأنشطة داخل حياتهم اليومية الروتينية وقد تعودوا على فعل أشياء محددة دون أدنى تساؤل عن الكيفية التى فُعلت بها، ومن هنا يأتي دور الباحث الكيفي فى توضيح تلك الحياة والتمعن فى دراستها وتوضيح الأنماط السلوكية التى ما عاد يدركها فاعلها، والتى أصبحت مسلمات داخل شخصية هؤلاء الأفراد توجه أفعالهم وممارستهم اليومية، وتصبح عين الباحث المنخرط فى دراسة هذا المجتمع هى العين الراصدة لكل ما هو غريب.
- التعرف على ما أشار إليه بعض الدراسات الآن من أن المدرسة الأمريكية ذات التوجه الكمي الإمبريقي، بدأت تهتم بالبحث النوعي وبتدريسه في معظم التخصصات التربوية والاجتماعية خاصة في مجال التربية حتى الجامعات الأمريكية التي عرف عنها توجهها الكمي الإمبريقي مثل جامعة ولاية ميشجان وجامعة أوهايو وغيرهما من الجامعات الأمريكية التي تعني بالتخصصات الاجتماعية والإنسانية (التربوية) قد أفردت للمنهجية النوعية المقررات اللازمة. وبهذا فلم يعد البحث النوعي توجها أوروبيا فقط كما كان سابقا.

- التمكن من فهم أعمق لأثر الثقافة السائدة في المجتمع على الممارسات المختلفة التي تحدث داخل أسوار المدرسة، وكيفية قيام المدرسة بنقل هذه الثقافة، عبر ما يسمى بالثقافة المدرسية. وهذه القدرة على الوصف الدقيق والتفاصيل العميقة هي التي تجعل من استخدام البحث النوعي في الميدان التربوي أمراً ضرورياً للغاية، فهناك الكثير من القضايا التربوية -خصوصا المتصل منها بالثقافة والمجتمع-التي لا يمكن فهمها ولا دراستها إلا باستخدام هذه البحوث.
- الاهتمام بالبحوث النوعية أو الإثنوجرافية في المجال التربوي، مع العمل على وضع مجموعة من البرامج لتطوير مهارات البحث النوعي لدى أعضاء هيئة التدريس أو ما يسمى بالبحوث الإثنوجرافيا، فالاثنوجرافيا ليست منهجية بحثية تختص بالدراسات الانثروبولوجية وحدها، بل اتسع مداها إلى كل العلوم الاجتماعية ومن بينها التربية كمدخل كيفي لا بد من استخدامه وتوظيفه في المجال التربوي، وأن تتضمن برامج كليات التربية مقررات تتعلق بتدريب الباحثين وطلاب الدراسات العليا على اكتساب العديد من المهارات البحثية، كمهارات إجراء المقابلة، والملاحظة، ودراسة الحالة، وجمع وتحليل وتفسير البيانات.(جمال علي الدهشان ٢٠١٤، ٦٤).
- الأخذ بمفهوم (العوامل المتعددة) في تفسير الظاهرة التربوية، فهي من التعقيد بحيث لا يمكن إرجاعها إلى عامل أو سبب واحد، وإنما هناك عوامل متعددة متداخلة متفاعلة، ينبغي الكشف عنها، وتحديد وزن كل منها في إحداث الظاهرة، وتفسير كل هذا في السياقات المجتمعية المرتبطة بها (محمد سكران، ٢٠١٠، ١٨٧).
- الاهتمام بالمدخل المنظومي والأخذ به في إجراء البحوث التربوية، حيث يعتبر من المداخل الحديثة التي يحاول الباحثون في التربية استخدامها من أجل فهم الظواهر التربوية بأبعادها المتعددة المتداخلة، وحتى يمكنهم مسايرة الطبيعة المعقدة للمشكلات التربوية التي تتأثر بمجموعة متفاعلة من المتغيرات المختلفة، إن المدخل المنظومي يختلف عن مداخل البحث الخطية في أن الأخيرة تفترض إمكانية فهم وتفسير الظواهر التربوية المعقدة إذا أمكن تجزئتها إلى مكوناتها الأصلية والكشف عن العلاقات المتعددة بين هذه المكونات. (رضا مسعد السعيدى، ٢٠٠٤، ٤٣٧).

رابعاً: معوقات تنفيذ الرؤية البحثية التجديدية

فى حالة تنفيذ الرؤية البحثية التجديدية سالفة الذكر، تتوقع الباحثة أن يصادفها بعض المعوقات التى قد تؤثر بدرجة أو بأخرى على تنفيذها منها ما يلي:

١- الأثر الكبير للمنهج الكمي على البحوث التربوية، وما أدى إليه من تأثير في القرارات المصيرية التي صنعت تاريخ التعليم في مختلف أرجاء العالم، بسبب شيوع الوضعية الوصفية (الاتجاه الكمي) وانتشارها في الدراسات والبحوث التربوية، لا على أنه هدف أكاديمي علمي يسعى إلى الحيادية والموضوعية ويبتعد عن الذاتي- كما يؤكد أصحابه ومنظروه-بل إن الهدف سياسي واجتماعي، وهو تحقيق مصالح اجتماعية وطبقية وسياسية، تقف خلف شيوع هذا الاتجاه لأكثر من قرن من الزمان (شبل بدران، ٢٠٠٥، ٤).

٢- زيادة عدد الباحثين غير المتخصصين الذين تحولوا إلى إجراء البحوث النوعية، ومنهم من لم يتدرب على إجراءاتها بصورة جيدة، مما أدى إلى صدور عدد من البحوث الضعيفة غير الملتزمة علمياً بالأصول المعرفية للبحث النوعي، وساهم ذلك في تكوين صورة سلبية عنه وعن تطبيقاته العلمية (رجاء أبو علام، ٢٠٠٤، ١٢٢) .

٣- النزعة المحافظة لدى الباحثين ولدى المجتمع بأكمله، حيث يميل الفرد إلى التكيف مع الأوضاع دون التفكير في تغييرها.وهي مشكلات تربوية تتمثل في نشأة أجيال من الباحثين في ظل المدرسة الوظيفية البنائية التي تعتمد على المنهج الكمي في أبحاثها، وأخرى سياسية تتمثل في خوف الباحثين التربويين من تناول قضايا وإشكاليات تخالف السلطة (محمود حسن الاستاذ، ٢٠١٣، ١٠٠).

٤- احتياج الباحث النوعي إلى قضاء فترات طويلة في الميدان لجمع البيانات بنفسه أو مع باحثين مساعدين له. كما أن البحث النوعي يتطلب مهارات عالية وإمكانات قد لا تتوافر في كثير من الباحثين، بصفته الأداة الأساسية لجمع البيانات، وكذلك ضرورة الالتزام بقواعد ومبادئ أخلاقية وقانونية في البحث النوعي قد لا يستطيع الالتزام بها كثير من الباحثين، إضافة إلى صعوبة توفير معايير الصدق والموضوعية، وكذلك صعوبة تعميم نتائج البحث النوعي على حالات أخرى (سعيد التل، ٢٠٠٥، ٤٨).

٥- كون البحث النوعي يفهم من قبل البعض على أنه لا يتبع خطوات منهجية وعلمية صارمة، فتصميم البحث وفرضياته ومتغيراته غير محددة، والباحث يذهب للحقل أو الميدان دون وجود

أسئلة بحثية واضحة، ناهيك عن المتغيرات والفرضيات، مما يصعب من مهمة الباحثين المبتدئين ويدفعهم إلى استخدام المنهجية التقليدية (عبد اللطيف العوفي، ٢٠٠٢، ٣٨).

٦- أن هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى وقت طويل وإلى دراسة وتدريب على استخدامه، وهو كذلك ذو كلفة اقتصادية كبيرة، والأهم من ذلك هو إحداث عملية الاقتناع من الباحثين بأهميته، وكذلك توافر الدعم من المؤسسات البحثية (محمد مسفر القرني، ٢٠٠٩، ٢٢)

٧- التطبيق العملي السليم لهذا المنهج يتطلب تدوين بيانات هائلة دقيقة، خلال فترة زمنية طويلة، بواسطة أشخاص مدربين تدريبًا عاليًا على أساليب الملاحظة. كما أن النتائج يصعب تحليلها، وبالنظر إلى كمية البيانات فإنه من الصعب تكرار النتائج.Seidman , I (1998,5) .

٨- نشر الأبحاث النوعية: لا يزال نشر الدراسات النوعية صعباً، لأن العديد من هذه الدراسات طويلة جداً ويصعب اختصارها لتناسب الحيز المتاح في المجالات العلمية، ولكن النشر العلمي في مجلة محكمة لا يزال " متطلباً " للباحثين الذين لم يحصلوا على ترقية بعد. كذلك لا تزال طرق كتابة تقارير مشاريع البحوث النوعية بما في ذلك المقالات والتقارير الحوارية والقصص وتقارير السيرة الذاتية المسجلة صوتياً غير مقبولة كعمل علمي في العديد من مجلاتنا البحثية.

٩- إجراء البحث النوعي: حيث يبدو أن هناك خطوطاً سائلة وغير واضحة بين الطرائق والأساليب، فبعض الطرق تستخدم المرئيات كبيانات أو كنص ينبغي تحليله. وفي دراسات أخرى تتأخر مراجعة مستفيضة للأدبيات السابقة إلى ما بعد تحديد فئات البيانات الناتجة عن الدراسة نفسها، بدلاً من مراجعة جميع الأدبيات قبل جمع البيانات. كذلك لا تزال القضايا المتعلقة بالمشاركين مزعجة، ذلك أن تحقيق السرية والحصول على موافقة المؤسسة باشتراك الأفراد في الدراسة، وعرض البيانات والمحافظة على السرية عندما يعطي الباحث وعداً بذلك، كلها تمثل قضايا مهمة.

١٠- ثقة ومصداقية الأبحاث النوعية: لا يزال البحث النوعي يواجه تحدي باحثين آخرين على طول هذين الخطين، والباحثون النوعيون حلوا هذه القضية لأنفسهم، ولكنهم لا يزالون يواجهون التحدي من الجانب الكمي للمجال.

خـــاتمـــة البحـــث

في ظل السعي نحو معالجة بعض جوانب أزمة البحث في مجال البحوث التربوية يمثل البحث النوعي منهجية رئيسة في البحث لتربوي تهدف إلى تطبيق أساليب بحثية كيفية لا كمية ، بهدف الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من الفهم للظاهرة التربوية المدروسة ، بل أصبح ضرورة لا بد أن تأخذ قدراً من العناية والاهتمام، ووضع معالم رؤية بحثية تجديدية لاستخدامه في معالجة بعض جوانب أزمة البحث التربوي من خلال الخوض في تفاصيله ، والوقوف على أبعاده الكامنة ، والعوامل المؤثرة في استمراره وتطوره ، وفقًا للسياق الطبيعي للظاهرة ودون قيام الباحث بأي إجراء من شأنه أن يعدل من مسارها أو يعمل على تفسيرها على نحو مخالف للحقيقة أو يضمنها رؤية متحيزة غير موضوعية.

مراجع البحث

أولاً: المراجع العربية

١- ابراهيم اسماعيل عبده محمد: المناهج الكمية وملائمتها لقضايا كيفية في دراسات علم الاجتماع: دراسة تطبيقية على موضوع القيم في الرسائل العلمية بقسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود نموذجاً، مجلد (٢٧)، العدد (٢) ، مايو ٢٠١٥.

٢- ابراهيم عبد الرحمن رجب: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣.

٣- ابراهيم عبد الله الحنو: مدى استخدام منهجية البحث النوعي في التربية الخاصة: دراسة تحليلية لعشر مجلات عربية محكمة في الفترة من (٢٠٠٥ -٢٠١٤) ، مجلة التربية الخاصة والتأهيل ، مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل ، مصر ، مجلد ٣ ، عدد ١٠ ، يناير ٢٠١٦ .

٤- أحمد أوراغي: الدراسات الأنثربولوجية في جامعة تلمسان الواقع -الأبعاد، ورقة عمل مقدمة للملتقى الأول حول وضعية البحث: الأنثربولوجية في العالم العربي، ١٠ ديسمبر، الجزائر، ٢٠٠٧.

٥- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٦.

٦- أيمن عبد المجيد، وأبها السقا: دليل ومبادئ عمل تطبيقية حول البحوث الميدانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز دراسات التنمية، جامعة بير زيت،٢٠١٤.

٧- العايب سليم: المقاربة الكمية والكيفية في العلوم الاجتماعية، اشغال الملتقي الوطني الأول حول: إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر: واقع وآفاق، ٧-٨ مارس، ٢٠١٢.

٨- باسنت فتحي :الأبعاد المجتمعية لتطور كلية التربية بجامعة عين شمس في القرن العشرين، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥ م.

٩- جمال علي الدهشان: نحو رؤية نقدية للبحث التربوي العربي، نقد وتنوير، العدد الأول، مايو ٢٠١٥.

١٠- جمال علي الدهشان: ملامح رؤية مقترحة للارتقاء بالبحث التربوي العربي، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العربي الثامن: الإنتاج العلمي التربوي في البيئة العربية (القيمة والأثر)، جمعية الثقافة من أجل التنمية، سوهاج ، مصر ، ٢٠١٤.

١١-جودت عزت عطوى: أساليب البحث العلمي: مفاهيمه، أدواته، طرقه الاحصائية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.

١٢-حسام الدين أبو الهدى: البحث التربوي بين حمى الأرقام والأبعاد الغائبة، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة الفيوم، مصر، العدد(٣)، الجزء (٢) ، ٢٠١٤.

١٣-حسن حسين البيلاوي: المنهج الاثنوجرافي في دراسة المدرسة، التربية المعاصرة، مصر، السنة (٢٢) ، العدد(٧١) ، أكتوبر ٢٠٠٥

١٤-حسن حسين البيلاوي: رؤية نقدية في أزمة البحث التربوي، طبيعتها وكيفية مواجهتها، بحوث مؤتمر البحث التربوي: الواقع والمستقبل، المجلد (٢) ، المركز القومي للبحوث التربوية ورابطة التربية الحديثة ، ١٩٨٨.

١٥-حمدى أبو الفتوح عطيفه : بحوثنا التربوية ، قراءة متجددة لأوراق قديمة ، عالم الكتب، القاهرة، المجلد (٩)، الجزء(٦٠)، ١٩٩٣.

١٦-حمزة دودين: قضايا إشكالية في منهجية البحث التربوي والاجتماعي، مجلة التربية، قطر، السنه (٣٢)، العدد(١٤٥)، يونيو ٢٠٠٣.

١٧-خالد احمد مصطفي حجر: معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات في البحث الكيفي: دراسة نظرية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مجلد(١٥)، العدد (٢)، يونيو ٢٠٠٣ .

١٨-خالد سالم: إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٨ ، متاح على ..... http://www.drhasan.net/vb/showthread

١٩-خالد محمد سليمان: المناهج النوعية والكمية: قراءة أولية في المنطلقات المعرفية، إسلامية المعرفة ، لبنان ، مجلد (٩) ، العدد(٣٣- ٣٤) ، ٢٠٠٣.

٢٠-خليل يوسف الخليلي : التحديات التي تواجه البحث التربوى فى الوطن العربى، المؤتمر العلمي العاشر: البحث التربوى فى الوطن العربى: رؤى المستقبل ، المجلد (١) ، كلية التربية جامعة الفيوم، ٢٠١٠.

٢١-ذوقان عبيدات، وسهيله ابو السميد: البحث العلمي- البحث النوعي والبحث الكمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢.

٢٢-راشد بن حسين العبد الكريم : البحث النوعي في التربية ، مجلة العلوم التربوية ، كلية التربية، جامعة الملك سعود ، السعودية ، مجلد(٢٥)، العدد(١) ، فبراير ٢٠١٣ .

٢٣-رجاء محمود أبو علام : مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية ، دار النشر للجامعات، القاهرة ، ٢٠١٠.

٢٤-رضا مسعد السعيد: آليات البحث التربوي بين الخطية والمنظومية، المؤتمر العربي الرابع : المدخل المنظومي في التدريس والتعلم ، مصر ، ٢٠٠٤.

٢٥-زهراء عيسى الزيرة: معايير في منهج البحث النوعي: دعوة للبحث عن الجذور، مستقبل التربية العربي، القاهرة ، المجلد(٢)، العدد(٦-٧)، ابريل - يوليو ١٩٩٦

٢٦-سالم عويس: إشكاليات البحث التربوي وآلياته الإحصائية مراجعة نقدية لطرق البحث وآلياته الإحصائية، مجلة التربية ، قطر ، السنه (٣٢)، العدد(١٤٦)، سبتمبر ٢٠٠٣.

٢٧-سامية السعيد بغاغو : معايير التنظير فى البحوث الأمبريقية، رؤية مستقبلية لبحوث أصول التربية ، مستقبل التربية العربية، المركز العربى للتعليم والتنمية، المجلد (١٠)، العدد (٣٥)، أكتوبر ٢٠٠٤.

٢٨-سعيد احمد سليمان: الحال الراهن للدراسات التربوية الكيفية في مصر، التربية المعاصرة ، القاهرة ، السنة(٢٢)، العدد (٧١) ، اكتوبر ٢٠٠٥ .

٢٩-سعيد التل : طرق البحث النوعية، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الاردن، ٢٠٠٥.

٣٠-سمير عبد الوهاب الخويت: إمكانية تطوير بعض مقومات البحث التربوي بالجودة الشاملة ، عالم التربية ، مصر ، السنه(٢)، العدد(٥)، اكتوبر ٢٠٠١.

٣١-سيد أحمد عثمان : أزمة البحث التربوى ، رابطة التربية الحديثة، لجنة اجتماعيات التربية، القاهرة، العدد (٤)، يناير ١٩٨٦ م .

٣٢-شارلين هس بيير، وباتريشيا ليفي: البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : هناء الجوهري المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١١.

٣٣-شبل بدران : البحث التربوي بين المدخل الكمي والمدخل الكيفي : ورقة عمل مقدمة للندوة والورشة التدريبية الاقليمية حول البحث الكيفي،مكتب اليونسكو، القاهرة ، مصر، ٢٦-٢٨ ابريل ٢٠٠٥.

٣٤-صالح بن ناصر الشويرخ : منهج دراسة الحالة واستعمالاته في اللغويات التطبيقية ، علوم اللغة ، مصر ، مجلد(١٣) ، العدد(٢) ، ٢٠١٠ .

٣٥-صلاح الدين محمد توفيق ، وهاني محمد يونس : اتجاهات الخطاب التربوي في مجلة كلية التربية ببنها (دراسة في سياق بناء وانتاج المعرفة التربوية) ، مجلة كلية التربية ، بنها ، المجلد(١٧) ، العدد(٧١)، يوليو ٢٠٠٧.

٣٦-صلاح الدين محمد حسيني: تعزيز دور البحث الفلسفى التربوى فى تطوير نظام التعليم المصرى، مجلة مستقبل التربية العربية، مجلد(١١) ، عدد (٣٦) ، ٢٠٠٥.

٣٧-صلاح السيد عبده رمضان : إشكالية المنهج في الخطاب التربوي العربي المعاصر (رؤية نقدية)، مجلة المعرفة التربوية ، المجلد (٤) ، العدد (٧) ، الجمعية المصرية لأصول التربية ، يناير ٢٠١٦.

٣٨-طه العلواني : صور من أزمة البحث العلمي ، مجلة إسلامية المعرفة، العدد (٣٧)، ٢٠٠٦.

٣٩-عادل السيد الجندي : توجهات البحث التربوي نحو تطوير وتحديث النظام التعليمي المصري في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين : دراسة استشرافية ، مجلة كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، العدد(٣٥)، مايو ٢٠٠٠.

٤٠-عادل محمد ريان : استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث : دراسة استطلاعية لواقع أدبيات الإدارة العربية ، المؤتمر العربي الثالث : البحوث الادارية والنشر ، القاهرة ، في الفترة من ١٤/١٥/ مايو ٢٠٠٣

٤١-عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط (١١) ، ١٩٩٠.

٤٢-عبد الجواد السيد بكر: رؤية في فنيات البحث الاثنوجرافي المقارن، التربية ، مصر ، العدد (٤٢) ، مجلد ١٦، اغسطس ٢٠١٣.

٤٣-عبد الحميد صبري عبد الحميد: البحوث الكيفية والذهاب إلى ما وراء الدلالة الإحصائية ، مجلة التربية ، قطر ، السنة ٣٨ ، العدد ١٧١ ، ديسمبر ٢٠٠٩.

٤٤-عبد السميع سيد أحمد: دراسات في علم الاجتماع التربوي، تقديم حامد عمار ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٣.

٤٥-عبدالعزيز بن سعود العمر: لغة التربويين، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ، ٢٠٠٧.

٤٦- عبد القادر حسن خليفة : إشكالية التنظير فى البحث التربوى، رؤية نقدية حول ميثودولوجيا دراسات وبحوث اجتماعيات التربية لقسم أصول التربية ، بحوث المؤتمر السنوى الحادى عشر ، كلية التربية، جامعة المنصورة. ، ٢٧-٢٨ ديسمبر ١٩٩٤.

٤٧- عبد القادر عبد الله عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، ٢٠١٤.

٤٨- عبد اللطيف العوفي : البحوث النوعية في الدراسات الإعلامية ، مطابع التقنية للأوفست،الرياض، ٢٠٠٢.

٤٩- عبد اللطيف حسين حيدر :البحث الإجرائي بين التفكر في الممارسة المهنية وتحسينها ، دار القلم ، دبي، ٢٠٠٤.

٥٠- عبد الله عبد الرحمن الكندري: مدخل الى مناهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦

٥١- عبد الله فلاح المنيزل ، وعدنان يوسف العتوم: مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية ، دار إثراء ، ٢٠١٠.

٥٢- عبد المنعم محي الدين : مناهج البحث التربوي بين الكم والكيف دراسة تحليلية ، مجلة كلية التربية ، جامعة طنطا ، العدد(٢٨) ، ٢٠٠٠.

٥٣- عزة جلال مصطفى نصر : إدارة الاحتراق الوظيفي لمعلمي المرحلة الابتدائية : دراسة اثنوجرافية ، مستقبل التربية العربية ، مصر ، مجلد (٢٠)، العدد(٨٢)، يناير ٢٠١٣.

٥٤- عزيز حنا داود : أزمة الفكر التربوى الجامعى والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، العدد (٢٨) ، سبتمبر ١٩٩٣ م

٥٥- عصام الدين هلال ، وطلعت عبد الحميد فايق : قضايا في علم اجتماع التربية المعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٥٦- علا مصطفى انور : أزمة المنهج في العلوم الانسانية ، المسلم المعاصر ، مصر ، مجلد (١٤) ، عدد ٥٥ - ٥٦ ، يونيو ١٩٩٠.

٥٧- علي السيد محمد الشخيبي : علم اجتماع التربية المعاصر ، (تطوره - منهجيته - تكافؤ الفرص التعليمية)، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٥٨- فاروق عبده فليه ، أحمد عبد الفتاح الزكي : معجم المصطلحات التربوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤

٥٩- فضيل دليو : معايير الصدق والثبات في البحوث الكمية والكيفية ، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٨٣) ، العدد ١٩ ، ٢٠١٤

٦٠- فريد كامل ابو زينة، وآخرون : مناهج البحث العلمي – طرق البحث النوعي ، دار المسيرة، عمان،٢٠٠٧.

٦١- فهد بن سلطان السلطان: المنهج الإثنوجرافي رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي، مجلة رابطة التربية الحديثة ، العدد(٤) ، ٢٠٠٨ .

٦٢- فوزية البكر: أحدث التيارات المعاصرة في مجال اجتماعيات التربية، مكتبة الرشد ، الرياض، ٢٠٠٥

٦٣- فيليب اسكاروس : الجديد في مناهج البحث التربوي ، المركز القومي للبحوث والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٦٤- كمال نجيب : ثقافة الفصل في المدارس المصرية: ورقة عمل مقدمة للندوة والورشة التدريبية الاقليمية حول البحث الكيفي، القاهرة ، ٢٠٠٥.

٦٥- كمال زيتون : تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها إلكترونياً، عالم الكتب،القاهرة ، ٢٠٠٦.

٦٦- مجدي صلاح المهدي :البحث العلمي التربوي بين دلالات الخبراء وممارسات الباحثين، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٨ م.

٦٧- محمد ابراهيم المنوفي : المنهج النقدي وأزمة البحث التربوي ، مجلة عالم التربية ، رابطة التربية الحديثة ، العدد (٢) ، السنة (١) ، أكتوبر ٢٠٠٠.

٦٨- محمد عبدالرازق، وعبدالباقى عبد المنعم : مهارات البحث التربوى، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٧.

٦٩- محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون : مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ .

٧٠- محمدعوض الترتوري : النظريات الحديثة في علم الاجتماع التربوي التفاعلية الرمزية، والنظرية المعرفية .المختار الإسلامي، ٢٠٠٨ . متاح على ..... islam@islamselect.com

٧١- محمد الحوش : أهمية الملاحظة والمنهج الاثنوجرافي في العلوم النفسية والاجتماعية ، مجلة جيل العلوم الإنسانية ، مركز جيل البحث العلمي ، الجزائر ، العدد(١٦) ، ٢٠١٦

٧٢- محمد أمين المفتي : منهج العلوم الإنسانية ، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس ، مصر ، العدد (١١٤) ، يونيو ٢٠١٦.

٧٣- محمد حسن علاوي ، وأسامة كامل راتب : البحث العلمي في التربية الرياضية وعلم النفس الرياضى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩

٧٤- محمد خليل الرفاعي : دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية : دراسة تحليلية ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد (٢٧) ، العدد (١-٢) ، ٢٠١١.

٧٥- محمد خليل عباس وآخرون : مدخل مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠٠٧

٧٦- محمد سكران : الإثنوجرافيا، المنهجية الغائبة عن البحث في التربية، السنة(٢٨) ، العدد (٤٢٨١٦) ، فبراير ٢٠٠٤ . متاح على ... http://www.ahram.org.eg

٧٧- محمد سكران : البحث التربوى من منظور نقدى، المؤتمر العلمى العاشر (البحث التربوى فى الوطن العربى: رؤى المستقبل). كلية التربية جامعة الفيوم، المجلد الأول، ٢٠١٠.

٧٨- محمد مسفر القرني: منهج البحث الكيفي والخدمة الاجتماعية العيادية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (٣٧)، العدد(٣) ، ٢٠٠٩.

٧٩- محمد منير مرسى : دراسة عن البحث التربوى بين التقليدية والراديكالية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد (١١٨)، السنة (٢٥) ، سبتمبر ١٩٩٦

٨٠- محمود أبو زيد إبراهيم : أزمة البحث التربوى، دراسة تحليلية فى بحوث المناهج ، رابطة التربية الحديثة، لجنة اجتماعيات التربية، القاهرة، العدد (٤) ، يناير ١٩٨٦ م .

٨١- محمود حسن الأستاذ : المنهج الإثنوجرافي أولوية مقترحة في تشخيص المشهد التربوي وتطويره ، أعمال المؤتمر العلمي الثاني : أولويات البحث العلمي في فلسطين .... نحو دليل وطني للبحث العلمي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، مارس ، ٢٠١٣ .

٨٢- مختار عثمان الصديق : مناهج البحث العلمي، دار جامعة القرآن الكريم للنشر ، ام درمان، السودان ، ٢٠٠٤.

٨٣- مريم محمد عبد الله الشهري : توجهات بحثية جديدة في الميدان التربوي: البحوث الاثنوجرافية، دراسات الواجهة ، ٢٠١٦

٨٤- مصطفى عبد السميع محمد : البحث الكيفي : ملامح وتطبيقات ، الندوة والورشة التدريبية حول البحث الكيفي ٢٦/ ٢٨ إبريل، القاهرة ، ٢٠٠٥

٨٥- مصطفى أحمد عبد الباقي : إشكالية استخدام الإثنوجرافيا في البحث التربوي ، مجلة صحيفة التربية ، القاهرة ، السنة (٤٥) ، العدد (٤) ، مايو ، ١٩٩٤.

٨٦- مصطفي عبد السميع محمد ، وفيليب اسكاروس : البحث العلمي في المجالات الانسانية ، دار العين للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

٨٧- مها كيال : السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية ، مجلة الثقافة االشعبية ، العدد (٢٩)، البحرين ، ٢٠١٥.

٨٨- موفق الحمداني وآخرون : مناهج البحث العلمي ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠٠٦ .

٨٩- مولاي البرجاوي : البحث التربوي : قضايا منهجية وإشكاليات بحثية ، مجلة الوعي الاسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلاية ، الكويت ، السنه (٥٣)، العدد(٦١٥)، سبتمبر ٢٠١٦

٩٠- نادر وهبة ، ووائل كشك : الأبحاث الإثنوجرافية رؤية بحثية جديدة ، مجلة رؤى تربوية، مركز القطان، فلسطين، العدد(١٠) ، ٢٠٠٣.

٩١- نصر الدين لعياضي: الرهانات الأبستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية، مجلة شؤون اجتماعية، الجامعة الأمريكية ، الشارقة ، الإمارات ، العدد(١٠٧) ، ٢٠١٠ .

٩٢- نصر الله محمود محمد معوض : البحث التربوي بين الدلالة والضلالة دراسة الأخطاء الشائعة بالبحث التربوي ، المؤتمر العلمي العاشر لكلية التربية بالفيوم : البحث التربوي في الوطن العربي – رؤية مستقبلية ، الفيوم ، مصر ، ٢٠١٠.

٩٣- ولاء محمود عبد الله بيومي : النشاط المدرسي في الحلقة الثانية من التعليم الأساسي في ضوء ثقافة المدرسة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بنها ، ٢٠٠٧ .

٩٤- لويس كوهين ، ولورانس مانيون : مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية ، ترجمة وليم تاوضروس عبيد ، وكوثر حسين كوجاك ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠.

٩٥- يوسف عنصر : تحليل وتفسير البيانات بين النزعتين الكمية والكيفية ، مجلة العلوم الانسانية، الجزائر ، العدد(٦) ، ١٩٩٥.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- Acker, s. (1999): The Realities of Teachers ' work: Never a Dull Moment. London and New York : CASSELL

2- Angrosino, M. (2008): Doing Ethnographic and Observational Research: Sage Publication. USA

3- Anzul, M., Others, (1991): Doing Qualitative Research Circles within Circles, London, flamer Press.

4- Baker , T.(1999) : Doing Social Research , Third Edition , New York , Mc Graw – Hill

5- Burgess, R. (1995): In the Field: an Introduction to Field research, London, Routledge.

6- Bogdan, R. & B, S. (1998): Qualitative research for Education, An Introduction to Theory and Methods Boston, Allyn and Bacon.

7- Cohen, L. & Manion, L. (1994) : Research Methods In Education (4th ed .) . London Routledgc

8- Cohen , L. & Manion , L.(2000) : Research methods in Education , London , Routledge Flamer

9- Creswell, J.W. (1998): Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five TraditionsSage.Thousand Oaks, CA

10- Crowl, T. (1996): Fundamentals of Educational Research, Chicago, Browen and Benchmark Pu Blisher.

11- Delamont , S. (2002) : Field Work in Educational Setting : Methods , Pitfalls and Perspestives , London , Routledge

12- Denzin, N. K. & Lincoln, Y.S. (2005): Handbook of Qualitative Research (3rd ed.), California: Sage Publication

13- Eisenhart, M. (2001): Educational Ethnography Past, Present, and Future: Ideas to Think with, Educational Research, vol 30, No8.

14- Eisenhart, A. & Howe, K. (1992): Validity in educational research. In M. Le Compete, W. Milroy & J. Preissle (Ed). The Handbook of qualitative research in Education, San Diego: Academic Press Evaluation. New-bury Park, CA: Sage Publication.

15- Gall, M, Gall, J. & Borg, W. (2003): Educational research (5th Ed). Boston : Pearson Education

16- Gay, L. R.(1996) : Educational Research: Competencies for Analysis and Application5Merrill.Englewood Cliffs, NJ

17- Gilbert,D.(1992): Ethnography as a Composition Research Genre : Establishing a Methodological center for A ssessing Writing programs , paper presented at the Annual Meeting of the National Council of Teachers of English , Lousisville, KY,November 18-23

18- Gobo, G. (2008): Doing Ethnography: Sage Publication. USA.

19- Guba, E. & Lincoln, Y. (1998): Fourth Generation of Evaluation. New-bury Park, CA: Sage Publication.

20- Hammersley, M & Atkinson, P. (1995): Ethnography: Principle and Practice. 2nd Edition. Rutledge : London and New York

21- Hoepfl, M. (1997): Choosing Qualitative Research: a Primer for Technology (Educational Researcher) Digital Library and Archives, Journal of Technology and Education, Vol 9, No1.

22- Hammersley, M. & Atkinson, p. (1995): Ethnography: Principle and Practice. London: Routledge.

23- Hancock, B. (1998): Introduction to qualitative Research. Trend Focus.

24- Haviland, W. (2008): Quantitative and Qualitative Methods in Psychotherapy Research.

25- Hohnson, R. & Waterfield, J. (2004): Making words count: The value of qualitative research. Physiotherapy Research International. 9 (3).

26- Maxwell, J. (1992): Understanding and Validity in qualitative research. Harvard Educational Review, 62(3).

27- Mehan, H. (1992): Understanding Inequality in Schools: The Contribution of Interpretive Studies, Sociology of Education, vol. (65) No (1).

28- McMillan, J & Schumacher, S. (2001): Research in Education: AConceptual Introduction. Longman Publications. New York. USA.

29- Mehdi, T. &Mansor, A. (2010): A General Perspective on Role of Theory in Qualitative Research Uluslararası Sosyal Ara_tırmalar Dergisi the Journal of International Social Research, Volume (3).

30- Merriam, S. (1998): Qualitative research and case study applications in education (2nd Ed) . San Francisco: Jossey – Bass.

31- Miles, M & Huberman, A. (1999): Qualitative Data Analysis, Thousand Oaks: Sage Publication. USA.

32- Miles, M. & Huberman, A. (1999): Qualitative Data, Analysis, thousand Oaks: Sage Publication. USA.

33- Mishler, E. (1990): Validation in inquiry – guided research. Harvard Educaitonal Review, 60

34- Nachmias, C. & Nachmias, D. (1992): Research Methods in the, Social Sciences. Th ed. St. Martin, New York.

35- Ogbu, J. (1996): Educational Anthropology. In Encyclopedia of Cultural Anthropology. Henry Holt and Company, vol. 2.

36- Onwuegbuzie, A.J. & Leech, N.L. (2005): Taking the "Q" Out of Research: Teaching Research Methodology Courses without the Divide between Quantitative and Qualitative Paradigms June, Vol 39, Issue 3.

37- Padgett, B. & Lucca, B. R. & Lucca, N. (2006): Qualitative Methodology in Counseling Research: Recent Contributions and Challenges for a New Century. Journal of Counseling and Development.V. 84, Principle and Practice. London: Routledge.

38- Patton, M. (1995): Qualitative Evalvation and Research Methods Newbury Park, CA: Sage

39- Pearson, D. (2001): Hand Book of Reading Research, Vol one, Mahwah, NJ, Lawrece Associates.

40- Reilly , K.(2004) : Ethno graphic Method , New York , Routledge_

41- Riessman, C. (1994): Qualitative Studies in Social Work Research. Sage Publications, London.

42- Robert, K. Y. (2009): Case Study Research: Design and Methods Los Angeles, .Calif: Sage' Sanger, J. (1996): The Compleat Observer? : Afield Research Guide to Observation, London, Flamer Press.

43- Schutt, R. (1996): Investigating the social Work: the process and practice of Research. Thcusand Oaks. CA: Pine Forge Press.

44- Seidman, I. (1998): Interviewing as qualitative research: A guide for researchers in Education and the social sciences (2nd Ed). New York, NY: Teachers College Press.

45- Wilson, V. a: Qualitative Research (1998): An introduction, Purposes, Methodology, Criteria for Judgment, and a Rational for Mixed Methodology, from www.eric.egov.ed.

46- Yin, R. (2003): case study research: design and methods (3rded). Thous and Oaks, ca: sage.